عَطِيّةُ الموت

القمص تادرس يعقوب ملطى

دراسة آبائية روحية
في الحياة الانقضائية (الإسخاتولوجية)

رجاؤنا
في
الحياة ما بعد الموت

الكتاب الأول

عطية الموت

١٩٩٨

القمص تادرس يعقوب ملطي
كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج

المؤلف : القمص تادرس يعقوب ملطي .
الناشر : كنيسة مارجرجس باسبورتنج .
المطبعة : الأنبا رويس (الأوفست) بالعباسية .
رقم الإيداع بدار الكتب ٩٨/٤١٢٧

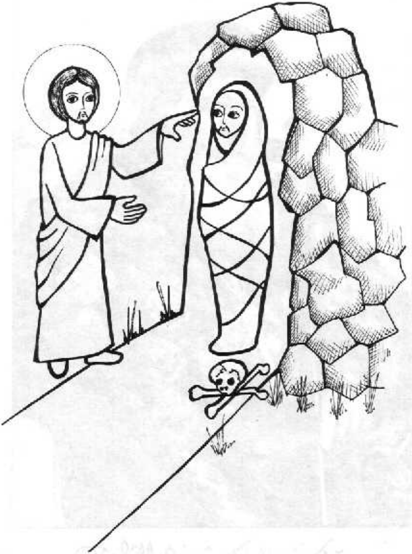

السيد المسيح واهب الحياة والقيامة

إذ مات قيصريوس الابن البكر، والطبيب الناجح الذي كان له حظوة لدى رجال الدولة وفي القصر الإمبراطوري بالقسطنطينية ترقب أخوه الأصغر القديس غريغوريوس أسقف نزينزا ماذا تفعل والدتهما. لاحظ أنها دخلت حجرتها لترتدي ثياب العيد، وقد ملأت البشاشة وجهها. فقد ابتلع فرحها بانطلاق ابنها إلى السماء كل مشاعر الفراق المؤلمة! لم يتعجب القديس من تصرفات والدته، فقد عرفها تماماً كشاهدة للحياة السمائية، غيّرت قلب زوجها، وحملته بروح الله القدوس كما إلى السماء!

هذه هي نظرة المؤمن الحقيقي للموت، إنه رحلة ممتعة نحو السماء؛ وصلوات الجنازة ما هي إلا احتفال مفرح بعيد فريد!

هذا ما دفعني للكتابة عن الموت وما وراءه، وكيف نتذوق عربون السماء هنا، لكي ننعم بها بعد عبورنا من هذا العالم.

وإذ بدأت أسجل كتابات الآباء عن "الموت وما وراء الموت" أو عن "الفكر الأخروي" شعرت بعجزٍ شديدٍ، فقد كاد أن يحتل هذا الفكر كل كتابات الآباء. يرى الآباء أبواب السماء مفتوحة تترقب بشوق مجيئهم، بل رأوها قد انطلقت إلى قلوبهم بنزول رب السماء إلى أرضهم، ليحل وسط الناس كواحدٍ منهم. إن كتبوا تعليقاتهم على نصوص في الكتاب المقدس، أو دافعوا عن عقيدة إيمانية؛ أو سجلوا كتابات ليتورجية تعبدية؛ أو ألقوا عظات روحية أو بعثوا برسائل لسببٍ أو آخر، لا تفارقهم السماء! أستطيع أن أقول إني أشعر بعجزٍ شديدٍ عن تسجيل فكر الكنيسة الحي فيما يخص الأمور الأخروية.

الرب قادر أن يعمل بروحه الناري فينا فتستنير بصيرتنا الداخلية، ونرى ملكوت السموات في داخلنا، ويحملنا كما بجناحي حمامة لنرى ما أعده الله لنا، فنجد لذتنا لا في الحديث عن الآخرة، بل بالأحرى في تذوقها مع كل نسمة من نسمات حياتنا.

القمص تادرس يعقوب ملطي

عيد الميلاد المجيد يناير ١٩٩٨

الكتاب الأول: عطية الموت

الكتاب الثاني: الآخرويات في الكتاب المقدس.

الكتاب الثالث: المسيحي والعبور إلى السماء.

الكتاب الرابع: رجاؤنا في الحياة فيما بعد الموت في فكر الآباء.

الكتاب الخامس: أصدقاؤنا في السماء.

الكتاب السادس: الموت ورؤية الله والسمائيين.

الكتاب السابع: عدو السماء وجهنم.

الكتاب الثامن: أسئلة حول الموت وما وراء الموت.

الكتاب الأول

عطية الموت

الحديث عن ما وراء الموت

يشتاق الكثيرون أن يتعرفوا على ما يدعوه اللاهوتيون بالإسكاتولوجي أو الإسخاتولوجيا، وهي كلمة يونانية تعني دراسة الأمور الخاصة بنهاية الأزمنة وما وراء الموت، وقد عبّر المرتل عن ذلك بقوله: "اهدني طريقًا أبديًا" (مز ١٣٩: ٢٠).

يُعربها البعض "بالأخيرية"، أي الأمور الخاصة بآخر الأزمنة، أو "الآخرويات" أو "الانقضائية"، حيث ينقضي الزمن وندخل إلى يوم الدينونة لننطلق إلى مصيرنا الأبدي.

اتسمت الكنيسة الأولى بما يدعوه اللاهوتيون "الإسخاتولوجيا" أو "الفكر الانقضائي". فالمؤمن مع كل نسمة من نسمات حياته يرى بابًا مفتوحًا في السماء، ودعوة صادقة للدخول إليها، والتعرف على أسرارها، بل وتذوق عربونها. لهذا يندر أن يكتب أي شخص مسيحي حقيقي في اللاهوتيات أو الروحيات دون التعرض للحياة الأخروية. كثيرون من المؤمنين يرون في الموت نافذة يطلّون من خلالها على حياة أسمى لا يُعبر عنها؛ ليس هربًا من الحياة الزمنية، بل شوقًا إلى واقع مستقبلي حقيقي يواجه كل بشر! على عكس ذلك يتحاشى الملحدون الحديث عن الموت، لأن الموت بالنسبة لهم محطم لكل رجاء، كما سبق فرأينا.

لقد سبق لي أن خصصت فصلاً عن هذا الموضوع في كتاب "**الحب الإلهي: يسوع صلب لأجلي**"، وأيضًا في كتيب تحت عنوان: "**موت أم حياة أبدية**"، وقمت بترجمة وتبويب ونشر مقالات عن الموت مثل **رسالة القديس يوحنا الذهبي الفم إلى أرملة شابة، وحديث الشهيد كبريانوس عن الألم والموت**[1]. وإذ أجد لذة خاصة في

---

[1] كبريانوس الأسقف الإفريقي، كأب روحي، رقيق المشاعر محب لأولاده، كتب هذا المقال "الموت" يوم انتاب البلد وباء وبدأ كثيرون يجزعون قائلين: ما فائدة الإيمان، إن كان الله لا يحمينا من الوباء ولا ينقذنا من الموت؟

كشف هذا المقال عن حقيقة الألم والموت بالنسبة للمؤمن... وقد حق لمثل هذا الرجل الذي عاصر أمرّ فترات الاستشهاد في قرطاجنة، وأدركته الضيقات من الوثنيين كما من بعض المسيحيين، بل ومن بعض الكهنة وبعض المعترفين الذين في السجون، إذ سلهم من تكدر طالبًا قبول أقربائه في الكنيسة رغم جحودهم الإيمان دون أي تأديب أو تأكد من صحة ندامته. أقول أن كبريانوس رجل الآلام كسيده، حق له أن يسجل لنا مشاعره نحو الألم والموت غير المفتعلة ولا متصنعة.

الحديث عن الموت ورفع القلب إلى ما وراء الموت، وجدت من الضرورة تجميع وتبويب ما سبق كتابته مع عرض مختصر لفكر الكنيسة الأولى في هذا الأمر الذي يشغل أفكار الكثيرين وقلوبهم.

إنني أرجو في الرب أن أقدم إجابات لأسئلة كثيرة تدور في فكرك من جهة الموت والحياة فيما بعد الموت، بفكر إنجيلي آبائي.

وإن كان الشهيد كبريانوس قد كشف لنا عن مفهوم الموت، كطريق للعبور إلى الحياة الأخرى، فإنه قد هذا عمليًا، إذ قبل الموت بقلب راضٍ، وأحنى رأسه للسياف وهو يشكر الله، حتى ارتجف السياف من شدة إيمانه، كما روى بونطيوس كاتب سيرته.

الحياة كما يراها الإنسان[1]

بين التيار الفلسفي الوثني والتيار المسيحي

كان لابد للمسيحية من مواجهة الكثير من التيارات الوثنية، وعلى وجه الخصوص الأفكار الخاصة بالموت. إذ كان الوثنيون يتطلعون إليه كقضاء وقدر يحل بالإنسان فيحطمه، ويهدد كل حيويته إلى النهاية.

عندما جاء السيد المسيح إلى العالم كان أغلب الأمميين يتطلعون إلى الموت كأمر رهيب، ولا يعتقدون في وجود حياة بعد الموت. فقد وُجدت على بعض المقابر نقوشات كالتالية:

"يُقدم الحظ وعوداً كثيرة،
لكنه لا يحتفظ بوعدٍ واحد منها.
عش يومك وساعتك،
فإنه لا يوجد بالحقيقة شيء آخر بين أيدينا!"[2]

"افرح ما دمت حيًا،
الحياة ليست إلا شيئاً قليلاً،
تبدأ الآن، وتنمو بقوة تدريجيا، ثم تختفي تدريجيًا"[3].

يعتقد بعض الفلاسفة الوثنيين في الحياة بعد الموت، لكنها حياة بلا بهجة، هي أشبه بنوم أبدي، ترتبط بظلمة الأرض. ولا يُعتق أحد من تسليمه في أيدي آلهة مملوءة غضبًا[4]. فالموت بالنسبة لهم هو تحطيم لكل حياة، وإن اشتهاه البعض إنما للخلاص

---

[1] *Cf. Boniface Ramsey: Beginning to Read the Fathers, 1985, ch. XII.*

للمؤلف: آباء مدرسة إسكندرية الأولون، ١٩٨٠؛ كوستي بندلي: إله الإلحاد المعاصر، منشورات النورة الأنبا يوأنس: السماء، ١٩٧٤.

[2] *Orellius: Inscriptionum Latinarum selectarum amplissima collectio, Turici 1828-1856, 3. 6234.*

[3] *Cf. A. Rush: Death and Burial in Christian Antiquity, Studies in Christian Antiquity I, Washington 1941, p. 89.*

[4] *Orellius, 2. 4793.*

من متاعب الحياة، لا لينعموا بحياة جديدة، وإنما ليعيشوا بلا حيوية ولا سعادة.

لقد هاجمت الفلسفات اليونانية موضوع القيامة من الأموات بطريق أو آخر. فلم يقبل أتباع أفلاطون وأفلوطين قيامة الجسد مطلقًا، فبالنسبة لهم ليست موضوع نقاش. بهذا يجعلون من البشرية نفوسًا بلا أجساد، خلالها يفقد الإنسان كيانه الشخصي ووحدته، ويحتقر الجسد كأمر رديء تريد النفس الخالدة الخلاص منه. والعجيب أن بعضهم إذ يرون أن النفس تتطهر بخلاصها من الجسد، ونسيانها للمآسي التي عاشت فيها أثناء اتحادها بالجسد، يعتقدون أنها تعود ثانية إلى مآسي جسدية. أما فرفوريوس الصوري (بروفوريوس) *Prophyry*، الفيلسوف اليوناني وأحد أبرز ممثلي الأفلاطونية المحدثة في القرن الثالث وبداية الرابع الميلادي فيرفض تناسخ الأرواح، أي عودة النفوس إلى أجساد أخرى لأنها بهذا ترجع إلى مآسي الجسد والحياة.

واجهت الكنيسة هذا التيار التشاؤمي كما يظهر من النقوش التي على مقابر المسيحيين، حيث نجدها كثيرًا ما تعبّر عن ما سيحل بالراقد من سلام وشركة في الملكوت الأبدي المجيد. لا نجد أثرًا لكلمات اللعنة والمرارة التي وجدت على مقابر الوثنيين، بل جاء غالبيتها: **"لتحيا في الرب، لتتهلل إلى الأبد..."** إن عبّر البعض عن مرارة الحزن لأجل آلام الفراق فإنها قليلة للغاية.

الإيمان بالقيامة بين الجاذبية والعثرة

إيمان المسيحيين بالحياة الجديدة بعد الموت وشركة الجسد المقام مع النفس في المجد الأبدي دفعهم لمواجهة الآلام والموت بفرحٍ شديد جذب أنظار الوثنيين. وقد شهد **القديس يوستين الشهيد** عن ذلك حيث كشف عن مشاعره الشخصية قبل قبوله الإيمان، كيف أُعجب بهم[1]. من جانب آخر رأى بعض الفلاسفة الوثنيين أنه من أصعب العقبات التي تعثرهم في قبولهم المسيحية هو التعليم بميلاد في حياة جديدة وقيامة الأجساد. هذا ما نلمسه في ردود الفعل تجاه تصريحات بولس عن القيامة في محكمة أريوس باغوس بأثينا. كان بعضهم يهزأون، والآخرون يقولون سنسمع منك عن هذا مرة أخرى (أع١٧:٣٢). لذلك كثيرًا ما تكررت حوارات فلسفية ولاهوتية في

---

[1] *2 Apology, 12.*

كتابات المسيحيين خاصة في دفاعهم عن الإيمان المسيحي كما فعل الفيلسوف أثيناغوراس عميد مدرسة الإسكندرية في القرن الثاني[1].

الفيلسوف أثيناغوراس في كتابه: "عن قيامة الموتى"

يعتبر أول محاولة يقوم بها كاتب مسيحي ليؤكد عقيدة القيامة ببراهين فلسفية وليس بدلائل من الكتاب المقدس وحده... ويعتبر من أفضل ما كُتب في هذا الشأن في الكتابات المسيحية الأولى[2]. وبالرغم مما يشوبه من بعض العيوب، لكنه يكشف عن عمق في الإدراك ومهارة في التفكير[3].

يحوى هذا المقال ٢٥ فصلاً، ينقسم إلى جزئين رئيسيين: الأول (فصل ١-١٠) يمثل الجانب السلبي، ألا وهو الرد على اعتراضات الفلاسفة ضد قيامة الأجساد. والثاني (فصل ١١-٢٥) يمثل الجانب الإيجابي، ألا وهو تقديم البراهين على حقيقة القيامة. هذا ويمكن القول بأن الجزء الأول يعرض موضوع "الله والقيامة"، أما الجزء الثاني فيعرض "الإنسان والقيامة".

١- في الجزء الأول أوضح أن اعتراضات الفلاسفة على القيامة تقوم إما بسبب نقص معرفة الله أو قدرته أو مشيئته في القيامة. فمن جهة المعرفة فإن الله الذي يخلق الأجساد يعرف أن يقيمها. ومن جهة القدرة فإنه إذ يقدر أن يخلق من العدم ألا يقدر أن يعيد تكوينها حتى إن تحللت أو تناثرت أو اندمجت عناصرها في الأرض أو في النبات أو الحيوان أو في الإنسان. أما من جهة المشيئة، فإن الله لا يشاء القيامة أما خوفًا من أن يلحق بالقائم من الأموات ظلمًا أو لأن في القيامة ما يشين الله. والحق أن القائم من الأموات لا يلحقه ظلم ولا تشين القيامة الله في شيء.

٢- يعطي في الجزء الثاني دلائل على القيامة خلال علاقتها بالإنسان:

أ- القيامة ضرورية للإنسان الذي خلقه الله كائنًا عاقلاً ليعيش إلى الأبد (١١-١٣).

---

[1] راجع للمؤلف: آباء مدرسة إسكندرية الأولون، ١٩٨٠، ص٣٨-٤٠.
The Author: School of Alexandria, N.J. 1995, p.224-235.

[2] *Altaner: Patrology, P. 130.*

[3] *Rev. B. Schmid: Manual of Patrology, 1903, p. 97.*

ب- يتكون الإنسان من الجسد و النفس، هذه الوحدة يحطمها الموت لتعيدها القيامة من جديد فيحيا إلى الأبد (١٧:١٤).

ج- ينبغي أن يشترك الجسد مع النفس في المكافأة في العالم الآتي كما اشتركا معًا في التصرفات هنا (١٨-٢٣).

د- خلق الإنسان من أجل السعادة الأبدية التي لا تتحقق بوجوده هنا على الأرض، وإنما في الحياة الأخرى (٢٥،٢٤).

وقد دافع **أوكتافيوس** عن المسيحية قائلاً بأنه أسهل على الله أن يقيم الأجساد من الموت عن ما سبق ففعله إذ خلقها من العدم، كما أوضح أن الطبيعة نفسها تؤكد القيامة.

[لاحظ كيف أن كل الطبيعة مشغولة في تأكيد القيامة المقبلة، وتهبنا راحة.

الشمس تغطس ثم تعود فتولد،

والكواكب تختفي ثم تعود،

الزهور تموت ثم تعود فتحيا من جديد.

البراعم تبزغ بين الأوراق بعد موتها.

البذور لا تبزغ ما لم تُدفن.

الجسد في هذا العالم يشبه الأشجار في الشتاء، التي يخفي اخضرارها تحت خداع العقم.

لماذا لا تصبر على الجسد لكي يأتي إلى الحياة ويعود ما دامت لا تزال في الشتاء المرّ؟

يليق بنا أن ننتظر حتى يحل ربيع الجسد[1].]

جثث الموتى بين التكريم والتشهير بها

كان الوثنيون في منطقة البحر الأبيض المتوسط يحترمون جدًا جثث الموتى، حتى جثث من حكم عليهم بالإعدام بسبب ارتكابهم جرائم، فكانت الدول تسلم الجثث للعائلات لكي يقوموا بدفنها.

[1] *Octavius of Minucius Felix, 34.*

لكن إذ أدرك المضطهدون الوثنيون إيمان المسيحيين بالقيامة من الأموات، وأن سرّ قوة المسيحيين واحتمالهم العذابات بفرح هو رجاءهم في القيامة، لذلك كانوا يبذلون كل الجهد في أن يبددوا ذخائر الشهداء لا ليحرموا المؤمنين من اقتنائها فحسب، إنما كانوا يظنون أنهم يبددون رجاء المسيحيين في قيامة الأجساد[1].

جاء عن شهداء ليون وفيينا Vienna كما كُتب عنهم في أواخر السبعينات من القرن الثاني أن جثث الشهداء كانت تلقى للكلاب أو يتركونها في العراء بلا دفن للسخرية بها. لقد حزن المسيحيون على عدم دفن جثث الشهداء، وكما يذكر **يوسابيوس القيصري** انهم لم يستطيعوا أن يقوموا بدفنهم حتى في الليل، وحاولوا دفع مال للجند، لكن هذا لم يغرهم، فقد كان الجند يحرسون الجثث بكل وسيلة كأنهم يمارسون أمورًا ذا أهمية عظمى، وهو عدم دفن الجثث. أخيرًا قام الجند بحرق الأجساد وإلقاء الرماد في نهر الرون. كانوا يفعلون ذلك لا ليحرموا المؤمنين من اقتنائها، لكن كمن يمنعون الله من إقامة هذه الأجساد، أو يحرمون الشهداء من ميلادهم الجديد، ظانين أنهم بهذا يشككون المسيحيين في أمر قيامة الأجساد[2]. هذا يكشف بحق كيف قاوم الوثنيون الإيمان بقيامة الجسد، وكيف امتلأت قلوبهم حقدًا بسبب مواجهة المسيحيين الموت بفرحٍ شديدٍ.

لم يهز هذا إيمان المسيحيين في قيامة الجسد، إذ يقول المدافع تاتيان :Tatian

[وإن دمّرت النيران جسدي...

وإن بُعثر بين الأنهار والبحار،

ومزقته الوحوش الكاسرة إلى قطع،

فإنني أجمع في مخازن الله الغنية...

وعندما يريد الله الملك سيعيد كياني المنظور بالنسبة له وحده إلى حالته الأصلية[3].]

---

[1] *Lebreton: History of the Primitive Church, p. 483.*

[2] *Eusebius: H. E. 5:1;61,63; J. Lebrton: History of the Primitive Church, p. 483.*

[3] *Or. ad. Graecos, 6.*

الإلحاد المعاصر والموت[1]

تحت عنوان "**الماركسية عاجزة عن حل مشكلة الإنسان بمعزل عن الله**" عالج كوستي بندلي كيف يقف الإلحاد المعاصر عاجزاً أمام حقيقة الموت، لعدم إيمانه بالله الذي يقيم من الأموات، وعجزه عن الدخول بالإنسان إلى الحياة الأبدية. فإن كانت الماركسية وغيرها من الفلسفات الإلحادية المعاصرة تظن إنها قادرة على التغلب على مأساة الحياة الإنسانية، بتقديم نظام اجتماعي أمثل من أجل المجتمع مع تجاهل الإنسان كفرد، لكن الواقع العملي كشف عن فشلها. كان الفلاسفة يظنون انهم يحولون العالم إلى فردوس أرضي يعمه الرخاء ويسوده العدل، فإذا بالبلاد الملحدة يسودها القلق واليأس، لأن الإنسان يجابه مأساة الموت التي تحطم كل رجاء له.

اقتطف هنا بعض الفقرات من كوستي بندلي بتصرف:

كثيراً ما يجد الإنسان نفسه في مواجهة أمام حقيقة الموت. هذا ما كان يراود فكر اندريه مالرو في المرحلة التي كان فيها متحمساً للشيوعية، متعاوناً معها إلى أبعد الحدود. ففي تصريح له في مجلة *Monde* في١٨ تشرين الأول ١٩٣٠، قال: "طبيعي أنه يجب الانتصار أولاً. لكن يبقى هذا التساؤل: ألا يجد الإنسان نفسه بعد النصرة في مواجهة أمام موته؟! وما هو ربما أشد خطورة، أمام موت الذين يحبهم؟!"[2]

الموت عدو الإنسان الأكبر لأنه إذا عنى الفناء، كما يظن الماركسيون، فإنه لا يضع نهاية لحياة الإنسان فحسب، بل يحكم عليها كلها باللامعنى. لأن كل لحظة من لحظات الحياة، حتى وسط النجاح والغنى، إنما هي "ظل ومنام" إن كان محكوماً عليها أن تصب في العدم. هذا ما أدركه الفكر الحديث بحدة وخاصة الوجودي منه. فقد حدد الفيلسوف الوجودي هيدجر الوجود الإنساني بأنه "**وجود من أجل الموت**" *être-pour-la-mort*. وقد كتبت سيمون دي بوفوار: "**لكي تكون الحياة جديرة بالاهتمام، ينبغي أن تشبه صعوداً: يجتاز المرء عتبة ثم أخرى، وتكون كل عتبة موجودة فقط لتقود إلى العتبة التالية... أما إذا انهار كل شئ عندما يصل المرء إلى القمة، فيصبح الكل**

---

[1] كوستي بندلي: إله الإلحاد المعاصر، منشورات النور، ص ٤٨ الخ.

[2] *Cite' par P. H. Simon: L'homme en procès, p. 38, Petite Bibliothèque Payot 1965.*

لا معنى له منذ البداية[1].

وكتب غبريال مارسيل في الموضوع عينه:

"الزمن كمنفذ إلى الموت – إلى موتي – إلى هلاكي.

الزمن – الهاوية؛ دوار يعتريني أمام هذا الزمن الذي يجثم موتي في أعماقه ويجذبني إليه"[2].

ومما يرعب غبريال مارسيل ليس موته الشخصي (الذي لا يمكن للإنسان أن يتصوره حقيقة)، وإنما خبرة موت محبوبيه؛ تلك الخبرة التي تناقض في الصميم جوهر الحب الذي أوضحه بقوله: "أن نحب كائناً هو أن نقول: أنت لن تموت"[3]. لذا كتب هذا الفيلسوف: "كيف يمكن أن نجابه عثرة موت من هو محبوب لدينا؟"[4]

يقدم كوستي بندلي شهادة الشيوعي الملحد ماركس في إحدى رسائله أنه عانى هذه الخبرة بألم مرير: "**عندما فقد ماركس، في الثلاث سنين الأولى التي قضاها في لندن ثلاثة من أولاده كتب لأنغلز ضابطاً مشاعره:**

"يقول باكون أن الناس المهمين بالفعل لهم مع الطبيعة والكون علاقات كثيرة بهذا المقدار... حتى إنهم يتعزون بسهولة عن أية خسارة اعترتهم. لست من هؤلاء الناس المهمين. **إن موت ولدي ألم بي عميقاً بهذا المقدار حتى إنني لا أزال أشعر بمرارة فقده كما في اليوم الأول"**[5].

لقد وجدت مشكلة الموت هذه مع وجود الإنسان. إلا إنها اتخذت في عصرنا حدة خاصة. هذا يعود أولاً لكون الإنسان الحديث أثبت انتصاره على الطبيعة ولذا

---

[1] *Simon de Beauvoir: Le Sang des autres, cité par P.Dentin: L'Existence de Dieu, le Mal. Fiche No.4*

كوستي بندلي: إله الإلحاد المعاصر، منشورات النور، ص ٥٠.

[2] *Gabriel Marcel: Etre et Avoir, (Aubier-Montaigne) p.117.*

[3] *Gabriel Marcel: Foi et Réalité, p.78, Coll. "Foi vivante," 1967.*

كوستي بندلي: إله الإلحاد المعاصر، منشورات النور، ص ٥١.

[4] *Gabriel Marcel: Foi et Réalité, p.176-177.*

كوستي بندلي: إله الإلحاد المعاصر، منشورات النور، ص ٥١.

[5] *Cité par I. Berlin : Marx. Gallimard. Coll. "Idées," 1962, p.158.*
Andre Dumas: Le Marxisme et le Vécu religieux. "Esprit," Octobre 1966, p.469.

يبدو له الموت محطمًا هذا الانتصار: "**لقد قهرنا الفضاء وبدت مملكتنا لا حدود لها. بقي الضياع في الزمن، لا يُطاق بمقدار ما هو باقٍ وحده**".

لم يتعرض ماركس لمشكلة الموت إلا مرة واحدة في إنتاجه الضخم[1]، إذ يخشى الحديث عنه. وفي تلك المرة عالج موضوع الموت بخفة غريبة. حاسبًا أن الموت ينتصر على الإنسان كفرد، لا على المجتمع. كتب كلماته التي تخفي ارتباكًا أمام هذه المشكلة التي لا قدرة للماركسية على حلها. لقد بشر ماركس بمصالحة الإنسان والطبيعة، ولكن الموت ينفي كل مصالحة من هذا النوع.

في حديث أجرته مجلة "الأنباء الكاثوليكية العالمية" مع بعض الشخصيات المسيحية، أدلى فرنسوا هوتار بالشهادة التالية: "عندما يتاح للمرء أن تكون له أحاديث شخصية مع غير مؤمنين، مع ماركسيين، فالسؤال المطروح دائمًا في النهاية هو قضية معنى الحياة والموت[2]".

شهادة الوجدان[3]

قلنا أن الفلاسفة الوثنيين في القرون الأولى تعثروا في المسيحية بسبب الإيمان بالقيامة من الأموات، الأمر الذي يحسبونه لا يجوز الحوار فيه، إذ هو مستحيل تمامًا. وأن الماركسية وكل أنواع الإلحاد المعاصر قد أنكرت وجود الله، وإن اعترفت بوجوده تنكر وجود علاقات شخصية تقوم بين الله والإنسان... هذا يحتم رفض الحياة فيما بعد الموت، خاصة قيامة الأجساد. لست هنا أكتب حوارًا عقليًا عن "الحياة فيما بعد الموت" لكن أذكر ما كتبه المتنيح الأنبا يونس مطران الغربية السابق عن شهادة الوجدان عن القيامة من الأموات إذ يقول:

[**هذا الشعور الغريزي في الإنسان من الأمور الجديرة بالدراسة. فالبشر جميعًا في كل الأجيال يؤمنون بفكرة الحياة الأخرى وبالخلود. هذه العقيدة نراها في الديانات الوثنية التي ظهرت منذ فجر التاريخ**، بل منذ عرف الإنسان على وجه هذا

---

[1] *K. Marx: Cité par: P. Dentin: De l'Atheisme a la foi, fiche No 4.*

[2] *Informations Catholiques Internationales, 1 janvier 1968, p.10-11.*

[3] الأنبا يوأنس: السماء، ١٩٧٤، ص ٢٦-٢٨.

الكوكب الأرضي.

هناك دراسة علمية عميقة قام بها عالم فرنسي شهير في القرن التاسع عشر، هو **فوستيل دي كولانج** *Fustel de Coulanges*، أخرجها لنا في مؤلف قيم أسماه **المدينة العتيقة** *La cité Antique*. وهو بحث مقارن عن العبادة والتشريع والأنظمة لدى الإغريق والرومان. وقد وقفت أمام هذا الكتاب في ذهول وأنا أطالعه بسبب كثرة المراجع القديمة والبرديات التي رجع إليها هذا العلامة الذي يقول:

"مهما ارتقينا في تاريخ الجنس الهندوأوربي الذي من فروعه الشعوب الإغريقية والإيطالية، فإننا نرى أن هذا الجنس لم يفكر مطلقًا في أن كل شيء قد ينتهي بالنسبة للإنسان بعد هذه الحياة القصيرة. فإن أقدم الأجيال قد اعتقدت قبل أن يوجد الفلاسفة بزمن بعيد، في حياة أخرى بعد هذه الحياة. ولم تواجه الموت باعتباره انحلالا للكائن، بل باعتباره تبديلا يسيرًا للحياة...

وترينا شعائر الدفن بوضوح أنهم عندما كانوا يضعون جسمًا في القبر، كانوا يعتقدون في نفس الوقت أنهم يضعون فيه شيئًا حيًا...

وكانت العادة عند نهاية الاحتفال الجنائزي أن تدعى روح الميت ثلاث مرات بالاسم الذي كان يحمله، وكانوا يتمنون لها أن تعيش سعيدة تحت الثرى. ثلاث مرات يقولون لها: كوني بعافية... ويضيفون قائلين ليكن الثرى خفيفًا عليك. إلى هذا الحد كانوا يعتقدون أن الكائن سيستمر يعيش تحت هذه الأرض وأنه سيحتفظ بشعور الرضا والألم. وكانوا يكتبون على القبر أن الإنسان يستريح هناك".

هذا هو كلام العالم الفرنسي ومنه نرى أن الشعوب البدائية كان لديها الإحساس الداخلي بأن الإنسان سيخلد في عالم آخر. **وهنا يتبادر إلى أذهاننا هذا** السؤال: ترى من الذي أوجد هذا الشعور والإحساس الغريزي في البشر؟ لا يمكن بالطبع أن يكون اتفاق هذا الشعور بين جميع البشر على اختلاف أجناسهم وحضاراتهم من صنع البشر أنفسهم...

أما في مصر الفرعونية القديمة فإن إيمان قدماء المصريين بفكرة الخلود وبالحياة الأخرى، أعمق وأعظم من أن نتناولها بعبارات وجيزة مقتضبة. لقد تسلطت فكرة الخلود والبعث على تفكيرهم، فحنطوا جثث موتاهم وودعوها بأناشيد امتلأت

بعبارات التمنيات الطيبة للميت. ومن أجل هذا أقاموا المقابر والمعابد الجنائزية والأهرامات. وما زالت النقوش التي عليها شاهدة حتى الآن بتأصل فكرة الخلود فيهم. ولا نعدوا الحقيقة إذا قلنا أن المتاحف في كل العالم لا تزال تحتفظ بالعديد من موميات قدماء المصريين. كما وصل إلينا العديد من الأناشيد والصلوات والتمنيات التي كانوا يودعون بها موتاهم حتى أن كثيرًا مما يحدث من ندب وغناء جنائزي في الوقت الحاضر له أصول وجذور تمتد إلى مصر الفرعونية. كما أن الآثار الخالدة التي خلفها لنا أجدادنا المصريون يتعلق معظمها بالموت وبالبعث والخلود. فقد شيدوا المدافن الضخمة كالأهرامات ومقابر الملوك التي تحتويها في الصخر ليحفظوا جثث موتاهم إلى يوم البعث، وتركوا لنا العديد من المعابد الجنائزية. ولم ينس قدماء المصريين أن يسجلوا لنا على معابدهم ومقابرهم عقائدهم عن الموت وعن البعث والخلود. ونذكر في هذا المقام ما عرف باسم "كتاب الموتى".

ومما يدعو للدهشة أنه رغم الإلحاد الظاهري الذي يحاول البعض أن يتستروا به، متناسين وجود الله والحياة الأخرى في السماء، لغرض أو لآخر، فإننا نجد كثيرين منهم في لحظات مواجهتهم للموت يضعفون، ويعبرون عما يكتنفهم من خوف وقلق من المستقبل المظلم الذي ينتظرهم... ومن أمثلة هؤلاء الملحدين، الملحد الشهير "توماس هوبس" الذي قال في لحظة الموت "**إنني أقوم بقفزة مرعبة في الظلام**" أما ميرابو *Mirabeau*، أحد زعماء الثورة الفرنسية الكبرى ١٧٨٩، فقد قال ساعة احتضاره "**أعطوني مزيدًا من عصير الهيروين (المخدر) لأسكر لأنني لا أريد أن أفكر في الحياة الأبدية**". أما شارل التاسع ذلك الطاغية الدموي فقد قال حال موته "**لا أدري أين أنا، لقد ضعت إلى الأبد، أنا أعلم هذا!!**"

لذا لا نعجب إن علمنا أن كثيرين ممن تنكروا للدين خلال فترات شبابهم وقوتهم وفتوتهم وزهوهم وسلطانهم قد عادوا في أواخر أيامهم واقروا بكل ما أنكروه خاصًا بالله وبالحياة الآخروية في السماء... ومن أمثلتهم نابليون بونابرت بعد أن عاش منفيًا في جزيرة سانت هيلانة، والفيلسوف الفرنسي الشهير فولتير، وعالم الطبيعة الأمريكي أديسون، والفيلسوف والكاتب الروسي تولستوي... وغيرهم

كثيرون[1].]

لا يوجد شخص لا يخشى الدينونة

✞ في الواقع إنه لا يوجد شخص سواء يوناني أو يهودي أو هرطوقي لا يخشى المحاكمة، فإن لم يقلقه المستقبل فقد يرتعش لتذكره لعقوبات الحاضر، فهو يخشى أن يؤذي ويُعاقب في خيراته، في نفسه وصحته، في أولاده، لأن الله لا يمكن أن يترك أولئك الظالمين بدون عقاب عما اقترفوه[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

الرجاء في القيامة أصل كل عمل صالح

✞ رجاء القيامة أصل كل عمل صالح، فانتظار المكافأة يقوي النفس للأعمال الصالحة. فكل عامل مستعد أن يتحمل الآلام إذا رأى أن مكافأته قريبة.

لكن إن أجهد الناس أنفسهم بلا أجد، يخور قلبهم كجسدهم أيضًا.

فالجندي الذي ينتظر غنيمة مستعد للحرب، لكن لا يقدم أحد نفسه للموت من أجل ملك لا يبالي بالذين يخدمونه ولا يمنح كدهم أية كرامة.

هكذا كل نفس تؤمن بالقيامة تحرص بطبيعة الحال على نفسها، لكن في عدم إيمانها بالقيامة تترك نفسها للدمار.

فمن يؤمن أن جسده سيبقى ليقوم ثانية يكون حريصًا على ثوبه، لا يدنسه بالزنا، وأما من لا يؤمن بذلك يسلم نفسه للزنا، ويسيء استعمال جسده كأنه لا يخصه. فالإيمان بقيامة الأموات وصية عظيمة والتعليم بـ "الكنيسة المقدسة الجامعة" تعليم عظيم وضروري ولو ناقضه كثيرون، فهو مع ذلك بالتأكيد أمر حق! يعارضه اليونانيون، ولا يؤمن به السامريون، ويقاومه الهراطقة، فالنفاق بينهم مختلف، لكن الحق واحد[3]!

القديس كيرلس الأورشليمي

---

[1] الأنبا يوأنس: السماء، ١٩٧٤، ص ٣٣.

[2] *In 2 Tim. Hom.5.*

[3] مقال ١٨:١.

نفسي تطلب اللانهائيات!

من الملامح الرئيسية في حياة الإنسان، حتى البدائي، شوقه الداخلي نحو اللانهائيات. فإن نفسه لن تشبع قط مهما نالت من هذا العالم. الأرض وكل ما عليها لا تقدر أن تملأ فراغ النفس الداخلي، لذا يطلب دومًا المزيد في كل شيء بلا شبع كما قيل بالنبي: "تأكلون وليس إلى الشبع" (حج١:٦). هذا ما دفع البعض إلى تعريف الإنسان بكونه كائنًا قلقًا. يقول عنه باغي Péguy إنه بئر من القلق. ويضرب لنا كوستي بندلي مثلاً، فيقول: "فالكلب مثلاً بعد أن يأكل ويشرب ويقفز ويلعب ويشبع شهوته الجنسية، ينام هادئًا. فرغباته محدودة، سهلة الإرضاء، لذلك ليس في حياته مشاكل. أما الإنسان فكلما أشبع رغباته اشتدت وقويت فيه هذه الرغبات، وكأن هناك شيئًا في أعماق كيانه يحركه ويعذبه ويوجهه ويدفعه دون توقف. في الإنسان تباين دائم، تفاوت مستمر بين ما يملكه وما يرغبه، بين إرادته ومقدرته، بين ما هو عليه وما يريد أن يكون[1].

هذه السمة هي هبة إلهية وفريدة. فالإنسان دون سائر الخليقة الأرضية يحمل صورة الله وعلى مثاله (تك١:٢٦،٢٧؛ ٩:٦)، والصورة لن تشبع إلا بالأصل. لكن إن انحرفت هذه السمة تتحول إلى مجموعة من الرذائل تحطم الإنسان وتنزل به إلى الهاوية وهو بعد في هذا العالم.

فمن لا تنفتح نفسه على السماء ليلتقي باللانهائي ويقتنيه ويحيا به ومعه، بل يعرج قلبه نحو الزمنيات، يغرف منها ولا يشبع، حتى إن قُدمت له الأرض بكل مواردها، يسقط في رذيلة الطمع، حتى يصير المال أو الممتلكات إلهه (مت٦:٢٤؛ لو١٦:١٣). كلما امتلك ازدادت بالأكثر رغبته التي لا يقدر أن يطفئها. وكما يقول القديس أغسطينوس عمن يود أن يرتوي من بحر هذا العالم. فإنه كلما شرب من مائه المالح ازداد عطشًا ليشرب أكثر، ويدخل بهذا في حلقة مفرغة، وكأنه قد حُكم عليه بالظمأ كل أيام حياته. **إنها لن ترتوي نفسه إلا بالسماوي نفسه** الذي يدعونا أن نقتنيه ونشربه، قائلاً: "إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب؛ من آمن بي كما قال الكتاب تجري

---

[1] كوستي بندلي: السبيل إلى الله، الطبعة الثالثة، ص٩٩-١٠٠.

من بطنه أنهار ماء حيّ" (يو٧:٣٧-٣٨).

وآخر إذ لا تشبع نفسه تعكس جوعها على الجسد، فيبقى فمه مفتوحًا بلا ضابط، يأكل ولا يشبع، فيسقط في النهم من نوع أو آخر. كان يأكل بلا حدود ولا ضابط لمعدته، أو يأكل بلا مواعيد فتتحول حياته إلى أكل وشرب، أو يأكل القليل لكن بشهوة، وتصير بطنه هي إلهه (في٣:١٩). ولكي يُشبع الرب جوعنا اللانهائي يقدم نفسه خبزًا نازلاً من السماء، قائلاً: "أنا هو خبز الحياة، من يقبل إليّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبدًا" (يو٦:٣٥). **يدفعنا أن نسعى وراء السماوي ونطلب السماويات!**

وثالث يعبّر عن جوع نفسه الداخلي بجوع عواطفه وأحاسيسه، فتبقى شهوات جسده قائدًا حتى لنفسه، تتسلط عليه، وتستعبده بلا شبع! يتهم إلهه أنه خلقه عاطفيًا، وأن عاطفته لن يشبعها شخص واحد (الزوج أو الزوجة). ومهما نال من عواطف تبقى أعماقه شرهة بلا حدود. إنه لا يدري أن أعماق عواطفه لن تشبع إلا بمن هو سماوي! والعجيب انه كلما أحب إنسانًا، لا يقف حبه عند اتصال الأجساد أو النفوس، لكنه يصبو إلى شئ غير متناه يشبع أعماقه. لذا نرى المحب ينسب إلى محبوبه جمالاً فائقًا ويحيطه بهالة من العبادة. **فهو يسعى، من خلال الشخص المحبوب، إلى امتلاك خيرات غير متناهية لا يمكن لطبيعة المحبوب الضعيفة المحدودة أن تعطيها**[1].

يبقى الإنسان حالمًا بالخلود، ومع معرفته أنه مائت لكنه يرفض الموت، فنرى **الشيوخ اكثر تعلقًا بالحياة من الشباب**، لأن الإنسان يريد الوجود المطلق اللانهائي، ولا يرضى بغيره.

ورابع في جوعه يطلب بكبرياء وتشامخ المجد الزمني، فيظن في نجاحه الزمني، وتفوقه بمركزه الاجتماعي أو درجاته العلمية أو فنه أو مشاريعه أو بطولته ما يشبعه، لكنه يبقى جائعًا، لن تستريح نفسه حتى وإن صارت شعبيته تقدر بالملايين، ويشهد له الكثيرون. وقد بلغ ببعض المشاهير كالفنانين الذين يحسدهم الكثيرون على شعبيتهم أن ارتكبوا جريمة الانتحار أو حاولوها، بسبب فراغهم الداخلي.

[1] كوستي بندلي: السبل إلى الله، ص١٠١.

يعبر الإنسان عن رغبته في الخلود بوسيلة أو أخرى مثل بناء الأهرامات والمقابر الضخمة، أو إقامة التماثيل وأقواس النصر، أو وضع حجر الأساس لمشروع تبناه أو إصدار كتاب يخلد ذكراه، وأحيانًا قد يلجأ إلى ارتكاب الجرائم ظنًا منه أنها تخلده.

الإنسان كائن خطير وهبه الله سمة فائقة، ليصير سفيره على الأرض (٢كو٥: ٢٠)، يحمل أيقونة السماء في داخله، يعبر رحلة العالم الجميل متهللاً من أجل أبواب الأبدية المفتوحة أمامه. إنه لا يشتهي اللانهائيات فحسب، ولا يسعى وراءها، لكنه يتطلع إلى اللانهائي ليراه حاضرًا فيه بشكل سري. لقد نزل الإنسان العاجز عن الارتفاع إلى السمويات لكي يقدم ذاته ساكنًا فيه. أما إذا أعطاه الإنسان القفا، حاسبًا انه يجد شبعه في العالم بصورة أو أخرى، فإنه يحطم نفسه، وربما من حوله. هذا ما يدفعنا للتطلع إلى الموت من خلال نافذة الإيمان فننعم برؤية الأبدية التي أعدها الله لنا لكي تشبع نفوسنا الجائعة نحو اللانهائيات.

✞ إلهي... لقد خلقتنا متجهين إليك، ولذلك لن يجد قلبنا راحة إلا إذا استراح فيك*.

✞ **إلهي... لقد جعلت نفسي قادرة على أن تسع جلالك غير المحدود. لئلا يكون لها شيء يقدر أن يملأها سواك!**

ليتني أعاينك يا ضياء عيناي!...

أسرع يا بهجة نفسي، لأتأمل فيك يا سرور قلبي!...

ألهمني حبك، فأنت هو حياتي!...

أشرق علي، ففيك يكمن فرحي الحقيقي، فيك عذوبة راحتي. فيك حياتي. فيك كمال مجدي!...

ليتني أجدك، يا شهوة قلبي!...

ليتني أقتنيك، يا حبيبي!...

لا تترك أحضاني، أيها العريس السماوي، فعند حلولك ينتاب كياني كله – داخلي وخارجي – نشوة فائقة علوية!...

هبني ذاتك، أيها الملكوت الأبدي، حتى أتمتع بك أيها الحياة المبارك. يا

تهليل نفسي غير المدرك!...

'أحبك يارب قوتي! الرب صخرتي وحصني ومنقذي' مز ١٨: ١.

نعم. أعني كي أحبك، فأنت هو إلهي. أنت حامٍ. أنت حصني المنيع. أنت رجائي العذب في وسط ضيقاتي...

لألتصق بك، فأنت هو الخير وحده، وبدونك ليس للخير وجود! لتكن أنت كل سعادتي، يا كلي الصلاح!...

افتح أعماق أذني، فأسمعك أيها الكلمة الإلهي، يا من يخترق نفسي كسيف ذي حدين!...

آه! يا إلهي!! أرعدْ من سمائك بصوتك القوي (مز ١١: ١٣)!! ليزأر البحر وكل أمواجه، لتتزلزل الأرض وليرتعب كل ما عليها. أنزل عليهما بالصواعق فيتبدد كل شك فيهما. وفي النهاية اكشف لأذنيّ أعماق المياه وأسس المسكونة (مز ١٨: ١٥).

أيها النور غير المنظور، هب لي عينين تستطيعان معاينتك! يا رائحة الحياة الإلهي، هب لي حاسة جديدة للشم تجذبني نحو رائحة أطيابك الذكية!...

ربي... نقِّ فيَّ حاسة التذوق حتى تقدر أن تتذوقك، وتتعرف عليك، وتكتشف غنى لذتك المدخرة لكل من يرتشف رحيق محبتك!... هب لي قلبًا لا ينبض إلا بحبك، ونفسًا تعشقك، وروحًا أمينًا لذكراك، وفكرًا يدرك غور أسرارك، وعقلاً يستريح فيك ويتحد بحكمتك المحيية دائمًا، ويعرف كيف يحبك بتقوى، أيها الحب المذخر فيك كل حكمة!

أيها الحياة، لمجدك يحيا كل مخلوق. لقد وهبتني الحياة، وفيك حياتي. بك أحيا، وبدونك أموت!...

بك أقوم، وبدونك أهلك!...

بك أمتلئ فرحًا، وبدونك أهلك حزنًا!...

أنت هو الحياة، مصدر الحياة، ليس شيء يوازي وداعتك وجمالك!...

أتوسل إليك: أخبرني أين أنت؟! أين ألقاك، فأختفي فيك بالكلية ولا أوجد إلا فيك!

آه! أسرع واجعل من نفسي مسكنًا لك، ومن قلبي مستقرًا...

تعال... فإني مريض حبا. بُعدي عنك هو موت لي، وذكرك يُحيي نفسي!... رائحتك تعيد لي قوتي، وذكرك يخفف آلامي، ظهورك شبع لي!(مز١٠:١٧).

يا حياة نفسي... قلبي يجري وراءك، ويذوب عند تذكر خيراتك. متى يحين رحيلي إلى ملكوتك؟! متى أحظى بمعاينة جمالك، أيها الحياة، سعادة قلبي!

لماذا تحجب وجهك عني، يا سعادة نفسي الوحيد؟!

أين تختفي يا رب الجمال، يا نهاية كل طموحي.

رائحتك التي أتنسمها تسكرني بالحياة والدهش، هذا رغم أنني لم أرك بعد، لأنه مكتوب: لا يراني إنسان ويعيش (خر٣٣).

حسنا، لو عملت بهذا التحذير فلن أراك. لكن لأموت يا ربي وأراك. لأراك يا ربي قبل أن أموت، فعندما أريد أن أحيا، أريد أن أموت. "لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح" (في١: ٢٣)!

إنني أشتهي الموت لكي أراك. إنني لا أريد العيش بعد لكي أحيا بك!

إلهي يسوع... استلم حياتي، فأنت حياتي!

اجذب قلبي، فأنت هو فرحي!

أيها الغذاء الدسم، كن أنت شبعي!...

أيها القائد الإلهي، قوّني!

أيها النور الحقيقي الذي يضيء عيني، أنر لي!...

أيها اللحن العذب، اطرب كل نفسي!...

أيها الرائحة السمائي، أنعشني بك!...

يا كلمة الله ثبتني فيك

فرّح نفس عبدك... ادخل إلى نفسي أيها الفرح الحقيقي، حتى تبتهج بك! ادخل إليها أيها العذوبة اللانهائية، حتى تتمتع بالعذوبة الحقيقية، أفضْ عليها شعاعك أيها النور الأبدي، حتى تعرفك وتدركك وتحبك!

فلماذا لا تحبك بل هي فاترة من جهتك لعدم معرفتها إياك؟! وعدم معرفتها

ناجم عن عجزها عن إدراكك. وعجزها هذا علته عدم تقبلها نورك، إذ النور أضاء في الظلمة، والظلمة لم تدركه" (يو ١).

أيها النور الذي يضئ النفس، أيها الحق البهي، أيها البهاء الحقيقي الاستضاءة، يا من تضيء لكل إنسان آت إلى العالم. أتيت إلى العالم، والعالم لم يحبك!...

إلهي... بدد الظلمة الكثيفة التي تخيم على نفسي، حتى تراك عند إدراكها إياك. وتعرفك عند تقبلها لك، وتحبك عند معرفتها لك. إن كل من يعرفك يحبك! ينسى نفسه! يحبك أكثر من ذاته! يترك نفسه وينجذب إليك، لينهل لذته في الاتحاد بك!

سيدي... إن كنت لم أحبك كما ينبغي، فذلك لأنني لم أعرفك بعد جيداً. فقلة معرفتي جعلت حبي لك فاتراً، وفرحي الذي أتمتع به ضعيفاً!

ويحي! فإنه بعبوديتي للمغريات الخارجية، أنشغل عنك أيها السعادة الكامنة في داخلي، وأُحرَم منك، وأذهب لكي أرتبط برباطات دنسة مع أباطيل هذا العالم!

هوذا في بؤسي، القلب الذي لك وحدك أن تمتلكه بكل عواطفه وأحاسيسه وتضحياته، قد وهبته أنا للأمور الباطلة، فصرتُ باطلاً بحبي للباطل! لهذا لم تعد بعد أنت فرحي، بل تركتك واندفعت أجري وراء محبة العالم الخارجي! مع أنك لا ترتاح إلا في أعماق نفسي!

إنني أريد التلذذ بأعمال الجسد، وأنت تود الابتهاج بروحي!

إنني أملأ قلبي بأعمال الجسد وأشغل بها ذهني وأجعلها محور حديثي، أما أنت يا إلهي فتحيا في النفس غير المحسوسة، الخالدة!

أنت تملك في السماء، وأنا أزحف على الأرض!

أنت تعشق الأعالي، وأنا أطلب السفليات!

أنت تشغلك السماويات، وأنا غارق في الأرضيات!

ترى: متى تتقابل مثل هذه الميول المتعارضة؟!

القديس أغسطينوس

✞ إلهي... لقد جعلت نفسي قادرة على أن تسع جلالك غير المحدود. لئلا يكون لها

شيء يقدر أن يملأها سواك!

✞ إلهي... إن النفس البشرية هي جبلة يديك... أوجدتها نفسا مفكرة، عاقلة، روحية، خالدة، دائمة الحيوية.

وإذ لم يعد سرورها كامنا في جمال وجهك، كرستها بمعموديتك لكي تسع جلالك... ولا يستطيع أحد أن يملأها سواك!

عندما نقتنيك تشبع كل إلهاماتها، ولا شيء من الخارج يقدر أن يشبع رغباتها!...

ألست أنت هو الخير الفائق، وكل خير إنما هو مستمد منك ؟!

القلب الذي لا يبتغيك، ماذا يطلب؟! أيطلب الغنى الذي لا يملأ العالم أم يبتغي أشياء مخلوقة... وما هذه الرغبة في الأشياء المخلوقة إلا مجاعة دائمة؟! من يقتنيها، تبقى نفسه بلا شبع، لأنها لا تقدر أن تشبع إلا بك يا إلهي، إذ أنت خلقتها على صورتك...

أيها الرب إلهي... أيها الفائق القدرة... لقد عرفت الآن موضع سرورك. إنها النفس المخلوقة على صورتك كشبهك، تلك التي لا تطلب غيرك، ولا تشتاق إلا إليك!!...

القديس أغسطينوس

✞ ✞ ✞

✞ نصيبي هو الرب، قالت نفسي!
من يشبعها إلا أنت يا جابلها!
إن وُهب لها العالم كله،
وإن تمتعت بكل نجاح زمني،
وإن نالت كل أمجاد زمنية،
تبقى كأرض جافة بلا ماء، تطلب ينابيع حبك! (مز٦٣: ١).

✞ روحك القدوس يروي أعماقي،
يحول بريتي إلى فردوس،

ويحوّل ترابي إلى سماء،

ويرفع أعماقي إلى عرش نعمتك،

ويُشكّلني بالحق، فأصير أيقونتك الحيّة.

أحمل شركة طبيعتك العجيبة (٢بط١:٤)!

"أشبع إذا استيقظت بشبهك" (مز١٧:١٥).

وأصير بالحق سفيرك على الأرض!

لك المجد يا مشبع نفسي ومرويها!

✝ ✝ ✝

لماذا ترهبون الموت؟

الصليب والألم حتى الموت

المسيحي الحقيقي كعضو حيّ مرتبط بالرأس يسوع المسيح، يقبل سمات المسيح المصلوب الذي قبل الموت بإرادته، فيعشق الألم ويبحث عنه ويشتهيه حتى الموت، لا لأجل الألم في ذاته، ولا هروبًا من العالم، بل لأنه علامة شركة الحب الحقيقي والوحدة بين العريس المتألم المصلوب وعروسه.

هكذا انطلق الصليب بالألم كما بالموت بالنسبة للمؤمن الحقيقي من كونه علامة الخطية ودلالة حجب الإنسان وحرمانه من الله مصدر السعادة ليصير علامة حب وشركة. فيقول الرسول بولس: "حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع" (٢كو ٤: ١٠). ويؤكد أنها آلام المسيح: "لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا، كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضًا" (٢كو ١: ٥).

إن كنا لا ننكر أن المسيحي من أجل آلام الفراق يحزن، لكن في حدود، وإلى حين، فإن كثير من الوثنيين قبلوا الإيمان بالسيد المسيح عندما رأوا كيف واجه المسيحيون الموت بشجاعة وبشاشة. وقد سجل لنا **الشهيد يوستين** تأثره بهذا قبل قبوله الإيمان[1].

حتى في فترات السلام كان أحد العوامل التي جذبت الوثنيين نحو الإيمان طقوس جنازات المسيحيين وما حملوه من أحاسيس السلام والرجاء في الأبدية[2].

☩ بعد قيامة مخلصنا الجسدية، لم يعد يوجد سبب للخوف من الموت. الذين يؤمنون بالمسيح يطأون على الموت كأنه لا شيء، مفضلين أن يموتوا بالأحرى عن أن ينكروا الإيمان بالمسيح. فإنهم مقتنعون أن الموت لا يعني دمارًا بل حياة، خلال القيامة يصيرون غير قابلين للدمار...

الدليل الواضح على هذا هو أنه قبل الإيمان بالمسيح كان الناس يتطلعون إلى

---

[1] *2 Apology, 12.*

[2] *Boniface Ramsey: Beginning to Read the Fathers, p. 218.*

الموت كموضوع مرعب، كشيء يجعلهم جبناء. وما أن قبلوا الإيمان وتعليم المسيح، صاروا على العكس يحسبون الموتَ أمرًا صغيرًا يدوسون عليه، ويجعلهم شهودًا للقيامة التي حققها المخلص ضد الموت[3].

البابا أثناسيوس الرسولي

يكشف **القديس كبريانوس** عن مفهوم الموت في ضوء ارتباطنا بالحياة الأبدية، وتعلقنا بالسماويات حيث نرى ربنا يسوع ونشتاق إليه، فنتمتع به في السماء وجهًا لوجه فننال ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر (١كو ٢: ٩). نرى ربنا يسوع في جماله غير المحسوس ولا منطوق به. نراه عريسًا لنفوسنا يشبعها ويرويها، عندئذ تهون آلام الزمان اليسير، ونشتاق إلى الموت كقنطرة نعبر بها إلى الفردوس على انتظار يوم الدينونة المجيد.

في سنة ٣٤٠م تعرضت الكنيسة في فارس لاضطهاد عنيف للغاية بواسطة الملك سابور الثاني. وفي السنة الخامسة عشر من حكمه استشهد **القديس بارهادبيسابا** *St. Barhadbesaba* **شماس مدينة أربلا** *Arbela*. وُضع الشهيد على آلة التعذيب، محتملاً الآلام بوجهٍ باشٍ وملامح مبتهجة، قائلاً إن نفسه مملوءة فرحًا ونورًا، هذا الفرح الداخلي والنور الإلهي جعلاه لا يبالي بآلام الجسد ولا بالموت. قال الشماس للقاضي: "**لا تقدر أنت ولا ملكك ولا كل وسائل التعذيب أن تفصلني عن محبة المسيح يسوع. إنه وحده ذاك الذي خدمته منذ طفولتي حتى شيخوختي**"[4].

كيف لا نرهب الموت؟

أولاً: معرفة الإنسان للّه ولنفسه ولجماله الداخلي

يقول **القديس إكليمنضس الإسكندري**: "**اعرف نفسك تعرف الله؛ اعرف الله تتشبه بابن الله**". هذا هو عصب الفكر الروحي للحياة المسيحية، أن ينطلق الإنسان بكل قدراته نحو أعماقه الداخلية، فيدرك حقيقة نفسه أنها أثمن من العالم كله، يصير الجسد بالنسبة لنفسه كلا شيء إلى أن تستلم النفس الجسد ممجدًا في يوم الرب العظيم.

[3] *De incarnatione Verbi, 27.*

[4] المؤلف: قاموس آباء الكنيسة وقديسيها مع بعض الشخصيات الكنسية.

هكذا يسلك الإنسان تحت قيادة روح الله، ويري ملكوت الله قائمًا فيه، فلا يخشي الموت، ولا يبالي بمتاعب الحياة، بل يشتهي الانطلاق من العالم ليرى مخلصه "ملك الملوك" وجهًا لوجه!

من يرى جمال نفسه الداخلية لا ينشغل بانحلال جسده، مهما كان جميلاً أو قويًا، بل بقداسة كل كيانه ونقاوته التي بها يعاين الله. يتمتع بالبصيرة الداخلية، فتنفتح عيناه على السماء. يدرك غناه الداخلي فلا يطلب مما للعالم حتى ولا طول الحياة الزمنية.

✞ اعلم يا أخي أن معلمنا الحقيقي هو المسيح. والذين يطلبونه في ذواتهم يظهر لهم في داخل نفوسهم. ومع أنه قد أظهر للناس الرجاء في عالم آخر، ونالت نفوسهم موعدًا بأنها حياة غير مائتة، إلا أنهم لم يحسوا برجائهم هذا، ولا يعرفون عن النفس سوى اسمها، ولا تتطلع أفكارهم إلى شيء خارجًا عن الجسد.

بسبب ارتباط كل أفكارهم بالجسد يبقون بالضرورة تحت مخافة الموت، لأن الجسد الذي ارتبطوا به واكتفوا به خاضع للموت، ولو حولوا نظرهم عن محبة الجسد وعن جميع شهواته، **وفهموا قوة أنفسهم**، وعرفوا أن رجاءهم هو في المسيح لما خافوا.

لأن كل من ينظر إلى نفسه، ويتأمل في رجائه بالمسيح يمتلئ فرحًا بانحلاله من هذا العالم. لكن لأننا موتى عن حياة النفس الحقيقية وأحياء بالجسد، لذلك نخاف من الذي يحلّنا من هذه الحياة المرتبطين بها، وحينئذ لا نشعر بإنساننا الداخلي ولا نعرفه ولا نعلم عنه شيئًا.

سبب ذلك كله مع عدم معرفتنا لذواتنا يرجع إلى أننا قد حددنا حركاتنا بأمور العالم، فكيف تفهم النفس أن فيها أفكارًا باطلة طالما كانت ممتلئة من هذه الأفكار؟!

لكن إن ابتعدت عن الضلالة، وتعرت من الأفكار الجسدية الفاسدة، يمكنها أن **تنظر إلى جمال نفسها**. وكما أن الله صالح بذاته وليس بسبب خارج عنه، هكذا يطالبنا بالصلاح في ذواتنا (أي من الله الساكن فينا) وليس بسبب آخر.

لذلك يحذرنا ويعلمنا ويعظنا لكي نرجع إلى التدبير الفاضل، وهكذا بنقاء

الضمير وطهر الأفكار يستطيع الإنسان أن **يفهم ما في نفسه من غنى، فيرى ما في إنسانه الحقيقي من جمال**. وجمال النفس هو الضمير السليم والذهن الطاهر والمعرفة النيرة والعقل الراجح.

النفس واحدة بجميع خواصها، وليس فيها أمر خارجي أو داخلي، أي أن يكون الضمير شيئًا، والنفس شيئًا ثانيًا، والفهم ثالثًا، بل النفس وحدة متكاملة بهذه كلها.

كان بولس يفرح إذ يقول: "لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح" (في ١: ٢٣). فمن يقدر أن يكون مع المسيح إلا الذي صار لنفسه، لأن الذي ليس هو لنفسه ولا لله لا يكون للآخرين. وإذا ما تنقى الإنسان من الآلام المفسدة حينئذ يرى جمال نفسه. أما الذي لم يرفع الآلام الرديئة من ذاته لا يعرف نفسه ولا يفهم الآخرين، فالآلام الرديئة هي كحجاب تحجز نظر المعرفة الحقيقي للنفس فلا تفهم أعمال الله، ولا ترى الناس على حقيقتهم...

وكما أن الذي يلتفت خلفه لا يستطيع أن يرى صورة ما هو أمامه إلا إن ردّ وجهه إلى الأمام، هكذا من خرج عن فهم نفسه والتهمك في شهوات جسده لا يقدر أن يعرف ماهيّة نفسه...

وكما أن الأعمى لا يستطيع أن يرى لون جسده، هكذا من قد عمى ذهنه باهتمامات العالم لا يقدر أن ينظر في هذه الاهتمامات نفسه ولا رجاءه في المسيح.

القديس يوحنا التبايسي

ربما يُقال أن للموت مهابته فكيف يمكن لمن ينظر إلى أعماقه لا يخشاه؟ إنه يرى في أعماقه السيد المسيح غالب الموت وواهب القيامة، فيطأ موت الجسد تحت قدميه متمتعًا بمجد قيامة الرب. لعلنا نذكر كيف واجهت الشهيدة فيليستي الموت بشجاعة. قيل أنه إذ أعيد المعترفون إلى السجن حتى يُرسلوا إلى ساحات الاستشهاد ليُقدموا للوحوش المفترسة، كانت فيليستي حزينة جدًا، لأن القانون الروماني يمنع قتلها حتى تتم الولادة، بهذا لا تنعم بإكليل الاستشهاد مع زملائها. صلى الكل من أجلها، وفي نفس الليلة استجاب لها الرب إذ لحقت بها آلام الولادة. رآها السجان وهي تتعذب، فقال لها إن كانت لا تحتمل آلام الولادة الطبيعية فكيف تستطيع أن تحتمل أنياب الوحوش ومخالبها. أجابته القديسة: "أنا أتألم اليوم، أما غدًا فالمسيح الذي فيَّ هو

الذي يتألم، اليوم قوة الطبيعة تقاومني، أما غدًا فنعمة الله تهبني النصـرة على ما أُعد لي من عذاب"*.

ما حدث مع هذه الشهيدة يحدث مع كل نفس تمارس حياة الشهادة اليومية للسيد المسيح!

ثانيًا: إدراك مفهوم الموت

الإنسان الذي يسمر عينيه علي أعماقها الداخلية فيرى مسيحه في داخله، يتطلع أيضًا إلي موت الجسد فيراه عطية إلهية. فنطرة عبور إلي الخلود، وتحرر حقيقي من الحياة الزمنية بكل أمراضها الروحية والجسدية.

✞ إن موت الأبرار صار رقادًا، بل صار هو الحياة.

القديس باسيليوس الكبير

تطلع **القديس غريغوريوس النزينزي** إلى أخته الأكبر منه **القديسة جورجونيا** كنموذج حيٍّ للمسيحي، وقد تأثر بها جدًا إذ كان مغرمًا بتقواها وورعها. وأوضح كيف استعدت للموت بلا خوف:

✞ موطن جورجونيا كان أورشليم العليا (عب١٢:٢٢، ٢٣)... التي يقطنها المسيح، ويشاركه المجمع وكنيسة الأبكار المكتوبين في السماء...

✞ كل ما استطاعت أن تنتزعه من رئيس هذا العالم أودعته في أماكن أمينة. لم تترك شيئًا وراءها سوي جسدها. لقد فارقت كل شيء من أجل الرجاء العلوي. الثروة الوحيدة التي تركتها لأبنائها هي الاقتداء بمثالها، وأن يتمتعوا بما استحقته.

✞ هنا أتكلم عن موتها وما تميزت به وفتنذ لأوفيها حقها... اشتاقت كثيرًا لوقت انحلالها، لأنها علمت بمن دعاها وفضلت أن تكون مع المسيح أكثر من أي شيء آخر على الأرض (في١:٢٣).

تاقت هذه القديسة إلى التحرر من قيود الجسد والهروب من وحل هذا العالم الذي نعيش فيه. **والأمر الفائق بالأكثر أنها تذوقت جمال حبيبها المسيح إذ كانت**

* المؤلف: قاموس آباء الكنيسة وقديسيها مع بعض الشخصيات الكنسية.

دائمة التأمل فيه.

كانت تعلم مسبقًا ساعة رحيلها عن هذا العالم، الأمر الذي ضاعف من فرحتها. ويبدو أن الله أعلمها به حتى تستعد ولا تضطرب حينئذ.

قضت كل حياتها لتغتسل من الخطية وتسعى لإدراك الكمال. ونالت موهبة التجديد المستمر بالروح القدس وصارت ثابتة فيه بحسب استحقاق حياتها الأولى...

لم تغفل عن التضرع من أجل زوجها أيضًا حتى يدرك الكمال، وقد استجاب الله لطلبتها إذ أرادت أن يكون كل ما يمت لها بصلة في حالة الكمال الذي يريده الله منا، فلا يكون شيء ناقصًا أمام المسيح من جهتها.

وإذ جاءت النهاية أدلت بوصيتها لزوجها وأولادها وأصدقائها كما هو المتوقع من مثل هذه القديسة المحبة للجميع.

كان يومها الأخير على الأرض يوم احتفال مهيبًا، ولا نقول أنها ماتت شبعانة من أيام بني البشر، فلم تكن هذه رغبتها، إذ عرفت أنها أيام شريرة تلك التي بحسب الجسد وما هي سوى تراب وسراب. وبالأحرى كانت شبعانة من أيام الله...

وهكذا تحررت، بل الأفضل أن نقول أنها أخذت إلى إلهها أو هربت أو غيرت مسكنها أو أسلمت وديعتها عاجلاً.

في وقت نياحتها خيم صمت مهيب، وكأن مماتها كان بمثابة مراسيم دينية.

رقد جسدها وكأنه في حالة شلل بعد أن فارقته الروح، فصار بلا حراك.

لكن أباها الروحي الذي كان يلاحظها جيدًا أثناء هذا المنظر الرائع شعر بها تتمتم واسترق السمع، وإذ به يسمعها تتلو كلمات المرتل: "بسلامة اضطجع أيضًا وأنام" (مز ٤:٨). مبارك هو من يرقد وفي فمه هذه الكلمات.

هكذا ترنمت أيتها الجميلة بين النساء، وصارت الترنيمة حقيقة. ودخلت إلى السلام العذب بعد الألم، ورقدت كما يحق للإنسانة المحبوبة لدى الله التي عاشت وتنيحت وسط كلمات الصلاح.

كم ثمين هو نصيبك! إنه يفوق ما تراه العين في وسط حشد من الملائكة والقوات السمائية، إنه مملوء بهاءً ونقاوة وكمالاً!

يفوق كل هذا رؤيتها للثالوث القدوس. فلم يعد ذلك بعيدًا عن الإدراك

والحس اللذان كانا قبلاً محدودان تحت أسر الجسد.

أرجو أن تقبل روحك هذا المديح مني كما فعلت مع أخي قيصريوس. فقد حرصت على النطق بالمديح لاخوتي.

القديس غريغوريوس النزينزي

☩ الموت بالنسبة للذين يفهمونه **خلود**، أما بالنسبة للبلهاء الذين لا يفهمونه فهو موت.

يجب علينا ألا نخاف هذا الموت، بل نخاف هلاك النفس الذي هو عدم معرفة الله. هذا هو ما يرعب النفس بحق!

☩ يستحيل علينا أن نهرب من الموت بأية وسيلة. وإذ يعرف العقلاء بحق هذا، يمارسون الفضائل ويفكرون في حب الله، ويواجهون الموت بلا تنهدات أو خوف أو دموع، مفكرين في أن الموت أمرٌ محتم من جهة، ومن جهة أخرى أنه **يحررنا من الأمراض التي نخضع لها في هذه الحياة.**

القديس أنطونيوس الكبير

ثالثًا: التأمل في الله

كثيرون يخشون ساعة الموت وما يسبقها من فترة مرض أو عجز، فيشعر الإنسان أنه سيكون ثقيلاً على أولاده أو المحيطين به، أما إنسان الله فينتظر هذه الساعة، واضعًا ثقته في الله وحده ليكون مرافقًا له حتى النفس الأخير!

في اللحظات الأخيرة من حياته على الأرض قال الشهيد جينيسيوس *St. Genesius*:

"ليس إله إلا يسوع المسيح، لن أعبد سواه حتى ولو اضطررت أن أموت آلاف المرات.

لن ينزع التعذيب اسمه من فمي أو قلبي.

إني آسف على كل إهانة وجهتها إلى اسمه المبارك، وعلى كل وقت ضاع مني دون أن أخدمه فيه".

✞ كتبت يا أخي تقول لي أنه ربما قد قرب وقت الموت. إن كان هذا حقيقيًا لا تتألم، لأن هذا هو رجائي وشوقي إلى الرب: أن أكون **في تلك الساعة بلا معين من الناس، ولا ممن يغمض عيني غير الله، إذ أكون ملقى على وجهي بالتأمل فيه.** هذا أحب إليّ من كل شيء!

الشيخ الروحاني

رابعًا: عمل الروح القدس الناري

يقول الرسول بولس: "وإن كان روح الله الذي أقام يسوع من الأموات ساكنًا فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحي أجسادكم المائتة أيضًا بروحه الساكن فيكم" (رو ٨:١١).

الروح القدس، الذي هو روح المسيح، أقامه من الأموات ، وهو قادر ليس فقط أن يقيم طبيعتنا الساقطة فينتزع عنها "موت النفس"، بل ويهبنا الطبيعة الجديدة المقامة في المسيح يسوع، التي تهب النفس حاليًا الحياة المقامة، وتقدم هذه الحياة للجسد في حينه.

✞ إن كنتم قد قبلتم الروح الذي أقام المسيح من بين الأموات، وهو يسكن فيكم، فبالضرورة الحتمية أنتم أيضًا عتيدون أن تقوموا بحياة لا يسود عليها الموت[1].

مار ديونيسيوس يعقوب ابن الصليبي

هذا هو عمل الروح القدس الذي ننالـه في سرّ المعمودية (وسرّ الميرون) حيث نقوم مع المسيح!

✞ لا تخف لأنك مثقل بجسد مائت، ليكن لك الروح فستقوم ثانيًا لا محالة...

حقًا سيقوم الكل، لكن لا يقوم الكل للحياة، إنما يقوم البعض للعقاب والآخر للحياة (يو ٥:٢٩)...

إنه لا يعاقبك **إن رأى روحه يشرق فيك، بل يوقف العقاب...** ويدخل بك إلى حجال العرس لتكون هناك مع العذارى (مت٢٥:١٢).

[1] تفسير رسالة مار بولس الرسول إلى أهل رومية، حلب سوريا ١٩٩٧، ترجمة مار سويريوس اسحق ساكا، ص ١٣٨.

ليتك إذن لا تسمح لجسدك (الحياة الجسدانية) أن يعيش في هذا العالم، **لكي** يعيش جسدك هناك.

ليمت كي لا يموت!

فإن احتفظت به هنا حيًا لا يعيش، وإن مات يحيا. هذا هو حال القيامة بوجه عام. إذ يجب أن يموت أولاً ويُدفن عندئذ يصير خالدًا. **ولكن هذا يحدث في** جرن المعمودية، حيث يتحقق الصلب والدفن وعندئذ القيامة.

هذا أيضًا ما حدث في جسد الرب، إذ صلب ودفن وقام. ليحدث هذا أيضًا بالنسبة لنا. فتكون لنا الإماتة المستمدة عن أعمال الجسد، لا أقصد موت جوهر الإنسان، فإن هذا بعيد عن قصدي، إنما موت ميوله نحو الأمور الشريرة، فإن هذا هو الحياة أيضًا، بل ما هو هذا إلا الحياة[7].

القديس يوحنا الذهبي الفم

يرى **القديس غريغوريوس النيصي** أن الروح القدس الناري الساكن فينا يلتهب دومًا ليحرق كل قش العالم منا ليعلن غلبتنا على الموت ويمتعنا بقوة القيامة. يقول: [**النار المخفية كما لو كانت قد تغطت تمامًا بقش هذا العالم... ستلتهب وتحرق بلاهوتها غلاف الموت!**[8]]

خامسًا: احتفال لا حزن

لم يعدنا المسيد بطرد الموت عنا، وإنما إذ مات معنا وعنا، حول الموت إلى جسر للعبور بنا إلى الفردوس على انتظار يوم الرب العظيم، لذلك نسمع عن والدة **القديس غريغوريوس النزينزي** أنها ارتدت ثياب العيد عندما حضرت جنازة ابنها قيصريوس[9]، عام ٣٦٩م، إذ يقول ابنها في مرثاته لأخيه: [الآن قد أعيد إلينا قيصريوس الذي لنا الشهير *our illustrious Caesarius*، وترابه المكرم، وجثمانه المحتفل به، بعد أن رافقه الحرس وسط تسابيح متعاقبة ومقالات عامة، وقد كرمته أيدي والديه المقدسة، واستبدلت والدته ثياب الحزن بثياب العيد الديني، وقد غلبت

[7] *In Rom. Hom., 13.*

[8] *Homilies on the Beatitudes, 7. PG 44 : 1289 .*

[9] *Greg. Naz. In Laudem Caesarii 15 –PG 35:755f.*

بفلسفتها دموعها، وسكّنت المراثي كطفل ينام على صوت المزامير، لأن ابنها استحق أن ينال كرامات لميلاد نفسه...[10]

اذكر في جنازةٍ لشخص تعرفت عليه بلوس أنجيلوس، وقد أحببته جدًا، وكان بتولاً، قلت: "**إني أهنئه على رحيله!**" فأرسلت لي زوجة أخيه الأمريكية خطابًا تقول لي فيه: "لقد تأثرت جدًا بكلمة "***Congratulation***" أي "هنيئًا" لإنسان ميت، فأحسست بأن الموت عطية، وتغيرت نظرتي تمامًا للموت.

وُجدت نفس الفكرة على مقبرة مسيحي بفينا في فرنسا: **ليس من حقك أن تحزن على من يجب أن تحتفل به!**[11]

حكم الوالي على **الأنبا بسادة الأسقف** بقطع رأسه، فارتدي ثياب المذبح البيضاء، ولما التقي به شماس يسأله عن سبب ارتدائه هذه الثياب، أجاب: "**يا ابني أنا ذاهب إلى حفل عرسي... وقد عشت السنين الطويلة مشتاقًا إلى هذا اللقاء**[12]".

دخل أريانا والي أنصنا مدينة أوسيم، فقام **أبيفام** وصلى، وقد لبس أفخر الثياب، ومنطق نفسه بمنطقة من ذهب وركب حصانًا، وكان يقول: "**هذا هو يوم عرسي الحقيقي، هذا هو يوم فرحي وسروري بلقاء ملكي وإلهي سيدي يسوع المسيح**". وإذ شهد للسيد المسيح أمر أريانا بربطه بذنب الحصان، وأن يطوفوا به في المدينة. وإذ رأته والدته سوسنة صارت تبكي، أما هو فقال لها: "**لا تبكي يا أمي ولا تحزني، بل افرحي فإن هذا هو يوم عرسي لأكون صديقًا للعريس السماوي، مشاركًا في مجده وملكوته. هذه هي الساعة التي فيها تكون تنقية الإيمان من دنس الشكوك. هذه هي الساعة التي فيها تُقدم أجسادنا ذبيحة مقبولة لله**". إذ سمعت أمه كلماته شهدت للسيد المسيح مع جموع من المحيطين بها، فصنع الوالي أتونًا من النار، ونالت مع الجموع إكليل الاستشهاد في ٢٨ توت[13].

---

[10] *Panegyric on His Brother S. Caesarius, 14.*

[11] *Dictionnaire d'archéologie Chrétienne et de liturgie, 12:1:40.*

[12] المؤلف: قاموس آباء الكنيسة وقديسيها مع بعض الشخصيات الكنسية.

[13] المؤلف: قاموس آباء الكنيسة وقديسيها مع بعض الشخصيات الكنسية.

احتمل القديس **بيجول الجندي** عذابات كثيرة أمام أرمانيوس، وأخيرًا قطعت عنقه. وهو يصرخ بفرح قائلاً: "**الآن قد كمل فرحي، وتممت كهنوتي في أيامك، فإن لي اليوم أربعين سنة أخدم الرب من أجل هذه الساعة**"، ثم فتح فاه وبارك الرب[14].

دُهش الوالي أريانا عندما انطلق بجنوده ليقتل شعب مدينة إسنا، فقد استقبله الشعب بفرحٍ شديد، وكانوا يهتفون: "**مبارك الآتي باسم الرب**"، إذ رأوا بعيني الإيمان كأن السيد المسيح قادم إليهم ليحمل أرواحهم إلى فردوسه. فكان الموت (الاستشهاد) بالنسبة لهم عيدًا مفرحًا.

أما عن السيدة العذراء فقد تحول موتها أو نياحتها إلى عيد للسمائيين والمؤمنين:

✞ يا للعجب الذي يفوق الطبيعة حقًا! وقائع مذهلة!

الموت الممقوت والمشجوب قبلاً، قد أحاطت به المدائح واعتُبر سعيدًا! فبعد أن كان يجلب الحداد والحزن والدموع والغم الكئيب، ها قد ظهر علة فرح ومحط عيد احتفالي!

بالنسبة إلى جميع خدام الله أعلن موتهم سرورًا! فإن خاتمة حياتهم هي وحدها تعطيهم اليقين بأنهم قُبلوا من الله. لهذا طوَّب موتهم لأنه يختم كمالهم، ويُظهر غبطتهم؟، حيث يطغى عليهم رسوخ الفضيلة كقول الوحي: "لا تعتبر أحدًا سعيدًا قبل موته" (سيراخ ١١ : ٢٨).

لا نطبق عليكِ (يا مريم) هذا القول، لأن غبطتك لا تأتي من الموت، وموتك لم يتمم كمالك ... ليس عند موتك، بل منذ هذا الحبل عينه تُغبطين من جميع الأجيال. لا، ليس الموت أبدًا من جعلكِ مغبوطة، بل أنتِ طرحتي الموت وبددتي كآبته وأظهرتي أنه فرح (بالمسيح الذي ولدتيه)[15].

✞ الآن، لتفرح السموات ولتصفق الملائكة!

الآن لتبتهج الأرض (مز ٩٦ : ١١، ٩٧ : ١)، وليهتز البشر فرحًا!

[14] المؤلف: قاموس آباء الكنيسة وقديسيها مع بعض الشخصيات الكنسية.

[15] عن دير سيدة حماطورة بكوسبا لبنان، عظات في ميلاد السيدة ورقادها للقديس يوحنا الدمشقي، ١٩٩٧، ص ٥٨.

ليدوّ الجو بأناشيد البهجة، وليُطرح الليل الحالك الظلام الكئيب ومعطفه الحدادي، لا بل بما أنه تلألأ، فليقتدِ بلمعان النهار، بومضات النور.

ها أن المدينة الحية التي للرب إله القوات قد رُفعت إلى الأعالي، والملوك يأتون بتندمة مُتعذر تقديرها من هيكل الرب، من صهيون الشهيرة (مز ٦٨ :٣٠) في أورشليم العليا، التي هي حرة، وهي أمهم (غلا ٤ : ٢٦).

وأولئك الذين أقامهم المسيح رؤساء على كل الأرض، أي الرسل، يواكبون والدة الإله الدائمة البتولية[١٦].

✞ اليوم استُردت مدينة الحية من أورشليم الأرضية إلى أورشليم العليا (غلا ٢٦:٤، رؤ ١٠:٢١)!

✞ هذا القبر وكونه أعز من الخيمة القديمة، قد حوى المنارة الروحية الحية المتألقة بالنور الإلهي، والمائدة الحاملة الحياة التي اقتبلت لا خبز الوجوه بل الخبز السماوي، لا النار الهيولية بل نار الألوهية غير الهيولية.

✞ لتأخذ مريم التي هي كنيسة الدف في يديها، ولتنشد التسبحة الخاصة بالعيد. لتخرج فتيات إسرائيل الروحي بدفوف ورقص (خر ١٥ : ٢٠)، مطلقات صيحات الفرح![١٧]

الأب يوحنا الدمشقي

سادسًا: الاهتمام بخلاص الآخرين

في وسط الآلام لم تفكر الشهيدة جوليا في نفسها، بل في خلاص مضطهديها، مصلية:

"لتكن مباركًا يا إلهي وسيدي يسوع المسيح الذي أهّلتني أن أموت مثلك ومن أجلك مصلوبة على خشبة الصليب...

---

[١٦] عن دير سيدة حماطورة بكوسبا لبنان، عظات في ميلاد السيدة ورقادها للقديس يوحنا الدمشقي، ١٩٩٧، ص ٧٢.

[١٧] عن دير سيدة حماطورة بكوسبا لبنان، عظات في ميلاد السيدة ورقادها للقديس يوحنا الدمشقي، ١٩٩٧، ص ١٠٣، ١٠٥، ١٠٦.

أسألك يا إلهي بحق دمك الطاهر الذكي أن تنظر بعين رحمتك إلى هذا الشعب الجالس في ظلام الموت، وتغفر لهم وتنير عليهم بنور الإيمان بك".

سابعًا: التمتع بالموت كقبلة إلهية

إذ قيل عن موت هرون أنه "حسب قول الرب" (عد٣٣:٣٨)، وعن موت موسى أنه "بفم الرب" (تث٣٤:٥)، لذا يرى التقليد اليهودي أن ستة أشخاص تمتعوا بأعذب أنواع الموت وأسهله وهو "الموت بالقبلة". هؤلاء الستة هم الآباء البطاركة إبراهيم وإسحق ويعقوب والاخوة الثلاثة مريم وهرون وموسى. حسب التقليد ما حلّ بهؤلاء ليس كارثة الموت، بل عطية الموت التي قدمها الله لهم من فمه كمن يقبلهم، بعد أن تمموا رسالتهم[18].

هكذا من يدرك أن حياته في يد الله، وأن الله يعمل به وفيه، يرى حتى في موته عذوبة الحب الإلهي. فإنه لا يموت بسبب مرض أو شيخوخة أو بسبب ظلم أو عنف إنسان... لكن، مهما كان نوع الموت الذي حلّ به، فهو أشبه بقبلة حب إلهي، ينتقل بناء على أمر الله الذي يحبه ويطلبه لينطلق إليه.

[18] *The Jewish Encyclopedia, vol. 4, article: Death.*

بركات الموت

"لأنه لا يكون موت لعبيدك بل هو انتقال".

أوشية[١٩] الراقدين

جاء السيد المسيح إلى أرضنا لكي يحملنا إلى سمواته. حمل طبيعتنا، وقبل الجسد القابل للموت، لكي بقيامته يدخل بنا إلى الخلود، إلى الحياة الأبدية، وقد دفع دمه الثمين ثمناً لهذه الحياة. "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو١٦:٣). هذا هو غاية تجسد كلمة الله واهب الحياة، وقد أرسل لنا روحه القدوس ليهبنا القيامة: "إن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم" (رو١١:٨).

إننا لا نخاف الموت لأنه في الحياة الأبدية لا يوجد شيطان يحارب، ولا خطية تهاجم، ولا حاجة إلى التوبة! لا يوجد ألم ولا مرض ولا مستشفى. لا يوجد موت ولا مدافن! لا توجد مساكن مادية حتى المباني الكنسية، فإننا لا نعيش في صورة السماء (الكنيسة الزمنية) بل في السماء عينها.

لماذا الخوف من الموت؟!

١.فساد الحياة الداخلية

إذ أصيبت البلاد بوباء مهلك واجه غالبية الشعب الموت بروح تقوية بلا خوف، بينما اضطربت جداً قلة منهم، علة الاضطراب، كما يقول **الشهيد كبريانوس**، ليس الوباء ولا الموت لكن فساد الحياة. الخطية تفقد الإنسان سلامه وتنزع عنه فرحه!

✞ أعزائي الاخوة الأحباء

إن غالبيتكم يتسمون بالعقل الرزين والإيمان الثابت والروح الورعة. فلا يضطربون بسبب التزايد الحالي للوفيات، إنما كالصخرة القوية الراسخة يصمدون أمام هجوم العالم وثورة أمواج الزمن. هذا وإن كان ذلك الهجوم

[١٩] أوشية تعني "صلاة".

وتلك الأمواج ليست بالأمر الهين ولا تقهر سريعًا، إنما هي تمتحن الآخرين بتجاربها.

غير إنني ألاحظ أن من بين الشعب، يوجد أناس خائرين غير مجاهدين بعزم قلبٍ ثابت...، وذلك لانحرافهم عن الحق **بسبب ضعف تفكيرهم أو فساد إيمانهم أو ترفههم في الحياة الزمنية أو تدللهم الجنسي أو لسبب آخر**... هذا الأمر الذي ليس لنا أن نخفيه أو نصمت بازائه. لكنني أبذل حسب ضعفي كل ما أُوتيت من جهد، لمقاومة خمولهم وترفهم هذا... مستعينًا بوصايا الله...[20]

الشهيد كبريانوس

✞ **الذين يعيشون في الملذات يهابون الموت**، أما الحزانى فيترجونه لكي يرحلوا سريعًا.

الأغنياء يهابون الموت، والفقراء **يشتهونه لكي يستريحوا من أتعابهم**.

الأقوياء يرتعبون عندما يذكرونه، والمرضى **يتطلعون إليه في رجاء** ليستريحوا من آلامهم...[21]

الأب أفراهات

✞ من يحب الأرضيات وشهواتها لا يفكر في أن يكون مع المسيح بعد انتقاله، ولا يقدر أن يقول: "**غريب أنا على الأرض**"، إذ هو مهتم بما للأرض. أما من يقول "**لا تخفِ عني وصاياك**" فهو قديس... لذلك يطلب النبي من الله أن يكشف له عظائم وصاياه للحياة السماوية[22].

العلامة أوريجينوس

✞ لاحظ بدقة كلمات المخلص، فبالنسبة **للفقير** يقول أنه حُمل بواسطة الملائكة إلى حضن إبراهيم، أما بالنسبة للغني فلم يقل شيئًا من هذا، إنما اكتفى بالقول أنه مات ودُفن. فإن الذين يضعون رجاءهم في الله يجدون في رحيلهم من العالم خلاصًا من

---

[20] *Treatise 7 On the Mortality, 1.*

[21] *Demonstration 22 Of Death and the Latter Times, 8.*

[22] القمص تادرس يعقوب ملطي: المزمور المئة والتاسع عشر (١١٨) غنى كلمة الله ولذتها، ١٩٩٦.

العذابات والألم. علمنا سليمان شيئًا من هذا القبيل: "في نظر الناس يبدو أنهم ماتوا، ويُظن رحيلهم ضررًا، ومضيهم عنا خرابًا، وأما هم ففي سلام ورجاؤهم مملوء خلودًا" (حك٣:٢،٣). يُعطى لهم مقياسًا من التعزية يتناسب مع أتعابهم، بل ما يفوق أتعابهم ويزيد، إذ يقول المسيح في موضع ما: "كيلاً جيدًا ملبدًا مهزوزًا فائضًا يُعطون في أحضانكم" (لو٦:٣٨).

كما أن السفن التي تبحر تواجه الأمواج العنيفة وتصارع الرياح الشديدة القوية ولكنها إذ تبلغ الموانئ تستقر فلا تقذفها الأمواج، هكذا بنفس الطريقة أظن أن نفوس البشر إذ تنطلق من متاعب الأرضيات وتدخل المساكن العلوية كما في ميناء الخلاص...

أما بالنسبة للغني الذي سلك بقسوة لا تعرف الرحمة فإن انفصال الجسد بالنسبة له كان موتًا، إذ يترك اللذة إلى العذاب، ويخرج من المجد إلى الهوان، ومن النور إلى الظلمة. كان يجب أن يعاني الغنى من هذه الأمور إذ كان متنعمًا، مغلق اليدين، غير مستعد لممارسة الرحمة. ومما يزيد عذابه انه في الجحيم تطلع ليرى لعازر في حضن إبراهيم[٢٣].

القديس كيرلس الكبير

۩ إن المؤمنين الذين كانوا مشغولين بالأمور الإلهية في حياتهم، عندما يرقدون برجاء مملوء سلامًا، يشتاقون بغاية السرور أن ينجوا من هذه الحياة الشقية، والحصول على الحياة المطوبة التي أعدت لهم، لاسيما إذا لم يكن بعضهم مدنسًا بالشهوات الجسدية يكونوا كاملين، أي في الأمور النظرية (المعرفة) وفي العمل، وفضلاء؛ أي ماهرين وحذرين.

أما غير المؤمنين فيكون هذا الرجاء ضعيفًا، لا ينالونه كله... ويصيبهم أذى لا يضمحل، لاسيما إن كانوا مسببين بشهوات الأهواء الجسدية. مثل هؤلاء يفقدون مالهم ولا ينالون شيئًا آخر، ويتألمون شر التألم[٢٤].

مارغريغوريوس أبي الفرج ابن العبري

---

[25] *In Luc Ser III.*

[٢٤] مار غريغوريوس أبي الفرج ابن العبري: منارة الأقداس عربه عن السريانية مار ديونسيوس بهنام حجاوي، حلب ١٩٩٦، ركن ٦، باب ٢، فصل ٥.

٢. عدم إدراك قوة الصليب وخبرة الميلاد الجديد

من لا يختبر الحياة الجديدة المقامة يرهب الموت، لأنه يكون بلا رجاء في الحياة الأبدية والأمجاد المعدة التي لأولاد الله. إنه يخشى موتًا أخطر، وهو موت النفس مع الجسد في نيران أبدية لا تفنيهما!

☩ بالتأكيد يخاف من الموت، ذاك الذي لم يولد من الماء والروح، حيث يُسلم إلى نيران جهنم.

يخاف من الموت، **من لم يختبر صليب المسيح وآلامه.**

يخاف من الموت، من ينتظر بعد الموت موتًا آخر.

يخاف من الموت، ذاك الذي تنتظره نيران الأبدية والعقاب غير المتناهي.

يخاف من الموت، من يجد نفعًا في تأجيل موته حتى تتأخر تنهداته وتأوهاته[٢٥].

الشهيد كبريانوس

٣. الارتباط بإغراءات العالم:

☩ من الذي يريد أن يبقى كثيرًا في العالم **إلا الذي يبهجه العالم**، وتخدعه هذه الحياة، وتغشه وتجتذبه إغراءات الملذات الأرضية؟!

إن كان العالم يبغض المسيحي (الحقيقي)، فلماذا يحب هذا المسيحي العالم (مقتنياته ومباهجه)؟! مع أنه كان بالأحرى عليه أن يتبع المسيح الذي أنقذه وأحبه؟!

يصرخ يوحنا في رسالته محذرًا إيانا ألا نتبع شهوات الجسد ولا نحب العالم: "لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم، إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة، ليس من الآب بل من العالم. والعالم يمضي وشهوته، وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد" (١يو٢: ١٥-١٧).

[25] *Treatise 7 On the Mortality, 14.*

أيها الاخوة الأحباء، ليتنا نستعد لقبول إرادة الله الكاملة بعقلٍ رزينٍ وإيمانٍ ثابتٍ وفضيلةٍ نشطةٍ، نازعين عنا الخوف من الموت، مفكرين في الخلود الذي يتبعه.

فإننا نُظهر إيماننا إن كنا لا نحزن من أجل انتقال أحبائنا، ولا نقاوم الرب بل نأتي إليه بسرعة متى دعانا بنفسه[٢٦].

الشهيد كبريانوس

٤. عدم الثقة في الوعود الإلهية

✞ أيها الاخوة الأحباء... إن سرّ هذا (حبنا للعالم)، هو **عدم ثقتنا في أن الأمور التي يعد بها الله حقيقية...**

لو وعدكم إنسان عظيم ذو مكانة، أما تثقون في وعده، دون أن تتخيلوا أنه سيغشكم أو يخدعكم، لأنكم تعرفونه أنه صادق في كلماته قادر في أفعاله؟!

هوذا الله يكلّمكم. فهل بتفكيرٍ كافرٍ تترددون بغير إيمان؟! هوذا الله يعدكم بالخلود والأبدية برحيلكم عن هذا العالم، فهل تشكّون؟!

إن شككتم فأنتم غير عارفين الله قط، وتعصون المسيح معلّم المؤمنين.

هوذا الشك يجعل الإنسان غير مؤمن رغم وجوده في الكنيسة، بيت الإيمان![٢٧]

الشهيد كبريانوس

✞ عندما ذكرت "كلام" الوعد، أعطيتنا أجنحة تسندنا فلا نبالي بالعالم الحاضر، لأنني اشتهيت الأمور السماوية وطلبت الأبديات. لقد جاهدت وقاومت مطالبًا بإصرار كلام هذا الوعد[٢٨].

العلامة أوريجينوس

كيف لا نخاف الموت؟!

✞ إن كنا نريد ألا نهاب الموت، **فلنقف حيث يوجد المسيح**، حتى يقول عنا: "حقًا أقول

[26] *Treatise 7 On the Mortality, 24.*

[27] *Treatise 7 On the Mortality, 6.*

[٢٨] القمص تادرس يعقوب ملطي: المزمور المئة والتاسع عشر (١١٨) غنى كلمة الله ولذتها، ١٩٩٦.

لكم إن من القيام ههنا قوم لا يذوقون الموت" (لو ٩:٢٧).

الذين بلغوا حقيقة إلى الشركة مع المسيح لن يعرفوا الموت.

إنهم يذوقون موت الجسد بلا شك، ويتعرضون له، لكن تبقى حياة الروح.

✠ ينبغي علينا ألا نصم آذاننا، بل أن نفتحها حتى **نسمع صوت يسوع**. فمن يسمع هذا الصوت لن يخشى الموت.

القديس أمبروسيوس

✠ يجب علينا ألا نخاف هذا الموت، بل نخاف هلاك النفس الذي هو عدم معرفة اللـه. هذا هو ما يُرعب النفس بحق!

القديس أنبا أنطونيوس

✠ هذا هو رجائي وشوقي إلى الرب: **أن أكون في تلك الساعة بلا معين من الناس، ولا من يغمض عينيّ غير الله**. إذ أكون ملقى على وجهي بالتأمل فيه. هذا أحب إليّ من كل شيء!

القديس يوحنا سابا

✠ الذين يعيشون في الملذات يهابون الموت، أما **الحزانى فيترجونه لكي يرحلوا سريعًا**.

الأب أفراهات

١. الموت دعوة للراحة

أ. راحة من الحرب الروحية

حياتنا معركة دائمة، موقعها هو أرض القلب والفكر والحواس؛ فهي حرب داخلية بين النور والظلمة. لن يهدأ عدو الخير حتى النفس الأخير، حاسبًا نفسه ملكًا من حقه اقتناء كل البشرية تحت سلطانه. فالمؤمن برحيله يعلن نصرته النهائية، أو نصرة نعمة الله العاملة فيه.

✠ كثيرون من شعبنا يموتون بهذا الموت (الجسدي)، فيتحررون من هذا العالم. هذا الموت الذي يحسبه (أهل العالم) كارثة، يراه عبيد الله رحيلاً إلى الخلاص.

يموت الأبرار كالأشرار بلا تفرقة... لكن الأبرار يُدعون إلى الراحة، والأشرار إلى العقاب.

سلام عظيم يوهب للمؤمنين، وعقاب لغير المؤمنين[29].

❖ من جهة الراحة، **ماذا نجد في العالم سوى حربًا دائمة مع الشيطان**، وصراعًا في معركة دائمة ضد سهامه وسيوفه؟! حربنا قائمة ضد محبة المال والكبرياء والغضب وحب الظهور، وصراعنا دائم ضد الشهوات الجسدية وإغراءات العالم.

ففكر الإنسان يحاصره العدو من كل جانب، وتحدق به هجمات الشيطان من كل ناحية. وبالجهد يقدر الفكر أن يدافع، وبالكاد يستطيع أن يُقاوم في كل بقعة. فإن استهان بحب المال، ثارت فيه الشهوات. وإن غلب الشهوات انبثق حب الظهور. وإن انتصر على حب الظهور اشتعل فيه الغضب والكبرياء، وأغراه السُكر بالخمر، ومزّق الحسد وفاقه مع الآخرين، وأفسدت الغيرة صداقاته.

هكذا تعاني الروح كل يوم من اضطهادات كثيرة كهذه ومن مخاطر عظيمة كهذه تضايق القلب، ومع هذا لا يزال القلب يبتهج ببقائه كثيرًا هنا بين حروب الشيطان! مع أنه كان الأجدر بنا أن تنصب اشتياقاتنا ورغباتنا في الإسراع بالذهاب عند المسيح، عن طريق الموت المعجل. إذ علمنا الرب نفسه قائلاً: "الحق الحق أقول لكم أنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح؛ أنتم ستحزنون، ولكن حزنكم يتحول إلى فرح" (يو ١٦: ٢٠).

من منّا لا يرغب في أن يكون بلا حزن؟!

من منّا لا يتوق إلى الإسراع لنوال الفرح؟!

لقد أعلن الرب نفسه أيضًا عن وقت تحويل حزننا إلى فرح بقوله: "ولكن سأراكم أيضًا فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم" (يو ١٦: ٢٠). **مادام فرحنا يكمن في رؤية المسيح... فأي عمى يُصيب فكرنا، وسخافة تنتابنا متى أحببنا أحزان العالم وضيقاته ودموعه أكثر من الإسراع نحو الفرح الذي لا ينزع عنا؟!**[30]

---

[29] *Treatise 7 On the Mortality, 15.*

[30] *Treatise 7 On the Mortality, 4.*

۞ يا له من نفع نقتنيه بخروجنا من هذا العالم!

لقد حزن التلاميذ، عندما أعلن لهم المسيح أنـه سينطلق، فقال لهم: "لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني قلت أمضي إلى الآب" (يو ١٤:٢٨)، معلمًا إيانا أن نفرح عند رحيل أحد أحبائنا من هذا العالم ولا نحزن، متذكرين حقًا قول الرسول الطوباوي بولس: "لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح" (في ١:٢١)، حاسبين في الموت أعظم ربح، الأمر الذي لا نقدر أن نقتنيه بواسطة شباك هذا العالم أو نجتنيه بواسطة خطايا الجسد ورذائله. **فبالموت نترك الأتعاب المؤلمة ونتخلص من أنياب الشيطان السامة، لنذهب إلى دعوة المسيح لنا متهللين بالخلاص الأبدي**[31].

الشهيد كبريانوس

ب. راحة من الموت الحاضر

۞ حقًا عندما جاء المسيح صار الموت نومًا!

۞ إن كنت تحب الراحل يلزمك أن تفرح وتسر أنه قد خلص من الموت الحاضر[32].

القديس يوحنا الذهبي الفم

ج. عتق من العبودية وتحرر كما من السجن

إن كان الجسد هو هبة من قبل الله يسند النفس في جهادها الروحي إن خضع لروح الله القدوس؛ وإن كان العالم هو مدرسة إلهية يتخرج فيها الإنسان متمتعًا بمعرفة فائقة لأسرار الله، لكن النفس وهو تتوق إلى ما هو أعظم تشتهي التحرر من الجسد الحاضر والعالم.

۞ رغبتنا هي أن يسرع ملكنا بالمجيء فلا تمتد عبوديتنا (في هذا العالم)[33].

العلامة ترتليان

۞ إن كانت امرأة قد لمست ملابسه الخارجية (هدب ثوبه) فشفيت في الحال، فأي نفع ناله سمعان الذي حمله على ذراعيه وتهلل بالفرح؟!

إنه يحمل الطفل الآتي ليحرر المأسورين ويخلصهم من رباطات الجسد. إنه

[31] *Treatise 7 On the Mortality, 7.*

[32] *In Matt. Hom. 31:3,6.*

[33] *On Prayer, 5.*

يعلم أنه لا يوجد من يخرجه من سجن الجسد مع الوعد بالحياة الأبدية إلا هذا الطفل الذي بين يديه. إليه وجه الحديث: "الآن يا سيد تطلق عبدك حسب قولك بسلام". لأنه منذ زمان طويل لم أحمل السيد المسيح، لم أضمه بين ذراعيّ. كنت مسجونًا ولم أستطع أن أفك رباطاتي.

هذه الكلمات لا تخص سمعان وحده إنما تخص كل البشرية التي تنتظره...

✟ لم يدخل سمعان الهيكل اعتباطًا أو بمحض الصدفة، إنما ذهب منقادًا بروح الله... وأنت أيضًا إن أردت أن تأخذ المسيح وتضمه بين ذراعيك وتتأهل للانطلاق من السجن جاهد أن يقودك الروح ويدخل بك في هيكل الله. هناك يوجد يسوع، داخل الكنيسة في الهيكل المقام من الحجارة الحيّة[34].

العلامة أوريجينوس

✟ إن لخدام الله سلامًا وحرية وراحة هائلة، فعندما ننسحب من زوابع هذا العالم نبلغ ميناء مدينتنا وأمننا الأبدي، عندما يتحقق هذا الموت نبلغ الخلود[35].

الشهيد كبريانوس

✟ انطلق سمعان؛ لقد تحرر من **عبودية الجسد**. الفخ انكسر والطير انطلق.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

إن كان الشهداء يتعجلون مجيء الرب لوضع حد للشر، قائلين: "حتى متى أيها السيد القدوس والحق لا تقضي وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض؟!" (رؤ٦: ١٠)، فإن المؤمنين وقد انفتح أمامهم باب السماء وأدركوا نصيبهم في الميراث الأبدي يتعجلون مجيئه الأخير لينالوا هذا المجد الأبدي.

٢- الموت عودة إلى الوطن السماوي

يدعو **القديس يوحنا الذهبي الفم** الموت "نومًا عميقًا"، ورقادًا ورحيلاً إلى الميناء، وعبورًا من وطن إلى آخر. يقول: [أعماق المسيحية هي انتظار الحياة بعد

[34] *In Luc. Hom. 15:2,3.*
[35] *On Mortality, 3.*

الموت، وترجى الرجوع بعد الرحيل[٣٦].]

سُجن خمسة رجال مصريون هم إيليا وإرميا وإشعياء وصموئيل ودانيال، جاءوا إلى فلسطين فألقى القبض عليهم، وإذ التقوا في السجن بالقديس بامفيليوس أو بمفيليوس *Pamphilus*، من مواطني بيروت، من أشرافها الأغنياء، الذي ولد حوالي عام ٢٤٠م، ففرحوا جدًا لرؤيته وامتلأوا تعزية. بعد أيام قُدم المصريون الخمسة للمحاكمة، وإذ سئلوا عن وطنهم، أجاب أصغرهم: "**إننا مسيحيون من مدينة صهيون السماوية**"[٣٧].

♱ تمسك سمعان الرجل البار... بمواعيد الله بإيمان كامل، حينما وُعد من السماء أنه لا يرى الموت قبل أن يعاين المسيح. فإنه ما أن جاء المسيح الطفل إلى الهيكل مع أمه وعرفه بالروح حتى أدرك أنه يلزمه أن يموت في تلك اللحظة، وفي وسط غمرة سعادته باقتراب الموت، وتأكده من استدعائه، حمل الطفل على ذراعيه وبارك الرب قائلاً: "الآن أطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام لأن عينيّ قد أبصرتا خلاصك" (لو٢: ٢٩)، مثبتًا تزكيته، شاهدًا بأن خدام الله عندما يُسحبون من وسط زوابع هذا العالم يُدركهم السلام، والحرية، والهدوء والطمأنينة.

إننا بالموت نبلغ ميناء وطننا (السماوي)، الراحة الأبدية، وبه ننال الخلود. هذا هو سلامنا وهدوءنا النابع عن الإيمان، وراحتنا الثابتة الأبدية[٣٨].

الشهيد كبريانوس

♱ يُدعى هذا العالم موضع غربة بالنسبة للصديقين، لأنهم يعيشون فيه كغرباء يهتمون برجوعهم إلى الوطن الحقيقي في الآخرة حيث يرتلون حقوق الله[٣٩].

أنثيموس أسقف أورشليم

♱ إننا أجراء أو غرباء على الأرض، إذ نجد مدينتنا فوق، حيث ننال هنا العربون، وإذ نبلغ ذلك لا نرحل (عنها).

---

[36] *De Consol. mort. PG 56:299.*

[٣٧] المؤلف: قاموس آباء الكنيسة وقديسيها مع بعض الشخصيات الكنسية.

[38] *Treatise 7 On the Mortality, 3.*

[٣٩] القمص تادرس يعقوب ملطي: المزمور المئة والتاسع عشر (١١٨) على كلمة الله ولذتها، ١٩٩٦.

♱ أولئك الذين محادثتهم في السماء، فإنهم إذ يقطنون هنا بمهارة هم في الحقيقة غرباء"[40].

♱ إن كنا نتطلع إلى العالم كبيت واحد عظيم، فإننا نرى السماوات تمثل القبو، والأرض تمثل الممر. إنه يريد أن ينقذنا من الأمور الأرضية، لنقول مع الرسول: "مواطنتنا هي في السماء". فالالتصاق بالأرضيات هو موت للنفس، عكس الحياة التي يصلي من أجلها قائلاً: "أحيني"![41]

♱ إذ التهب (المرتل) بالاشتياق نحو أورشليم السمائية، تطلع إلى أعلى الممالك العلوية وقال: **"يا رب كلمتك دائمة في السماوات إلى الأبد"**، أي دائمة بين الملائكة الذين يخدمونك أبديًا في جيوشك بدون توقف"[42].

القديس أغسطينوس

٣- الموت هبة للمؤمن

♱ أيها الاخوة الأحباء... يا لنا من طائشي الفكر، وناكري المعروف، لا نعرف العطايا الإلهية والهبات المقدمة لنا!

آه! فبالموت ينتقل البتوليون بسلام وأمان في مجد، غير خائفين من تهديدات من هم ضد المسيح، ولا من مفاسدهم أو شرهم.

بالموت يهرب الأولاد من الضيقات التي تفوق طاقتهم، نائلين سعادة جزاء صبرهم وبراءتهم.

بالموت لا تعود الفتاة المتللة ترهب أيدي المضطهدين وعذاباتهم.

بالموت المرهب... يتقوى المتراخون، ويُجبر الهاربون إلى العودة للإيمان، ويلزم الوثنيون بالإيمان.

لقد دُعي جماعة المؤمنين في القديم إلى الراحة (الزمنية)، أما الآن فقد دُعي جيش المؤمنين (الروحي) ليجتمعوا في المعركة ببسالة وشجاعة ويحاربوا دون

---

٤٠ القمص تادرس يعقوب ملطي: المزمور المئة والتاسع عشر (١١٨) غنى كلمة الله ولذتها، ١٩٩٦.

٤١ القمص تادرس يعقوب ملطي: المزمور المئة والتاسع عشر (١١٨) غنى كلمة الله ولذتها، ١٩٩٦.

٤٢ القمص تادرس يعقوب ملطي: المزمور المئة والتاسع عشر (١١٨) غنى كلمة الله ولذتها، ١٩٩٦.

خوفٍ من الموت... لأنهم يُدعون للقتال في وقت الموت (أي يحاربوا الخطية والشيطان أثناء انتشار الوباء المميت)[43].

الشهيد كبريانوس

٣- الموت يفرز البار عن الشرير

✝ أيها الاخوة الأحباء... إن هذا الطاعون المخيف، الذي يفتك بالناس فتكًا ذريعًا إنما يختبر برّ كل إنسان، ويفحص ضمائر البشر. إنه يكشف عما إذا كان الأصحاء يهتمون بالسقماء، والأقوياء يترفقون بأقربائهم، والسادة يتعطفون بخدامهم الغرباء، والأطباء يلبون نداء المصابين المتوسلين إليهم.

إنه يُظهر هل يكف قساة القلوب عن قسوتهم، **ويطغى الجشعون بطمعهم في محبة المال** خوفًا من الموت؛ وهل يحني المتشامخون رقابهم، ويُطفّف الأشرار من وقاحتهم. وعندما يرى الأغنياء أن أعزاء لهم يموتون هل يُعطون للفقراء، لأنهم يموتون وليس لهم من وارث[44]!

الشهيد كبريانوس

٤- توقع الموت يلهب الشوق نحو الاستشهاد

كانت الكنيسة تعد كل عضو - حتى الأطفال الصغار - للاستشهاد بفرح. فلما حلّ الوباء بمنطقة قرطاجنة حزن الكثيرون لأنهم سيموتون بالوباء وليس بسفك دمهم من أجل الإيمان بالسيد المسيح. فكتب لهم **الشهيد كبريانوس** إن ترقبهم للموت ألهب فيهم الشوق نحو الاستشهاد. لكنهم وإن حرموا منه لن يحرموا من إكليله، فالاستشهاد هو رغبة داخلية حية للشهادة للإيمان حتى الموت.

✝ بالرغم من أن هذا الموت لا يقدم أية هبة، إلا أنه نافع للمسيحيين، عبيد الله، إذ يبدأون يشتاقون للاستشهاد، **فالموت يعلمنا ألا نخاف الموت**.

أنه بمثابة تدريب لنا. يقدم للفكر أمجاد الثبات، وبالتأمل فيه نساعد للإكليل[45].

---

[43] *Treatise 7 On the Mortality, 15.*

[44] *Treatise 7 On the Mortality, 16.*

[45] *Treatise 7 On the Mortality, 16.*

ربما يعترض أحد قائلاً: "مما يحزنني في هذا الموت الحالي الناجم عن الوباء، هو أنني قد تهيأت للاعتراف (احتمال الاضطهاد)، وكرست حياتي لاحتمال الآلام بكل قلبي بشجاعة لكنني **ربما أُحرم من الاستشهاد**، إن اختطفني الموت".

أولاً: **الاستشهاد ليس من سلطانك، بل هو عطية من الله**، فليس لك أن تعترض إن فقدت ما لست مستحقًا له.

ثانيا: الله فاحص القلوب والكلى، العارف بخفايا الأمور ينظر إليك ويكرّمك ويزكّيك متى رأى ثباتك في الفضيلة ويكافئك عنها الخ. فالله الديان يتّوج خدامه الذين تهيأت أفكارهم (حياتهم) للاعتراف والاستشهاد (ولو لم يستشهدوا)، **لأنه لا يطلب دمنا بل إيماننا**. إذ لم يستشهد إبراهيم ولا اسحق ولا يعقوب، ومع ذلك استحقوا تلك الكرامة، أن يكونوا المتقدمين بين البطاركة. هؤلاء دُعوا إلى الوليمة إذ وُجِدوا مؤمنين وأبرارًا ومستحقين للمديح[46].

الشهيد كبريانوس

٥- بالموت تتحقق طلبتنا أن ننال الملكوت

إذ نردد الصلاة الربانية في كل يوم بالفم كما بالقلب نعلن شوقنا نحو التمتع بالملكوت، قائلين: **"ليأت ملكوتك"**. هذا الاشتياق نحو الملكوت يظهر بوضوح في حياة الشهداء، وإليك أمثلة لهذا.

في السجن افتقد الأخ أخته **الشهيدة بربتوا** Perpetua (تعني الدائمة)، وصار يحدثها بأنها تعيش في مجد، وأنها عزيزة على الله بسبب احتمالها الآلام من أجله، وقد طلب منها أن تصلي إلى الرب ليظهر لها إن كان هذا الأمر ينتهي بالاستشهاد. بكل ثقة وطمأنينة سألت أخاها أن يحضر لها في الغد لتخبره بما سيعلنه لها السيد. طلبت من الله القدوس ما رغبه أخوها، وإذ بها ترى في الليل سلمًا ذهبيًا ضيقًا لا يقدر أن يصعد عليه اثنان معًا في نفس الوقت، وقد ثبت على جانبي السلم كل أنواع من السكاكين والمخالب الحديدية والسيوف، حتى أن من يصعد عليه بغير احتراس ولا ينظر إلى فوق يُصاب بجراحات ويهلك. وكان عند أسفل السلم يوجد تنين ضخم جدًا يود أن يفترس كل من يصعد عليه. صعد ساتيروس أولاً حتى بلغ قمة السلم

[46] *Treatise 7 On the Mortality, 17.*

ثم التفت إليها وهو يقول لها: "بربتوا، إني منتظرك، لكن احذري التنين لئلا ينهشك". أجابته القديسة: "باسم يسوع المسيح لن يضرني". ثم تقدمت إلى السلم لتجد التنين يرفع رأسه قليلاً لكن في رعب وخوف، فوضعت قدمها على السلم الذهبي ووطأت بالقدم الآخر على رأس التنين ثم صعدت لتجد نفسها كما في حديقة ضخمة لا حدّ لاتساعها، يجلس في وسطها إنسان عظيم للغاية شعره أبيض، يلبس ثوب راعي يحلب القطيع، وحوله عدة آلاف من الناس لابسين ثيابًا بيضاء. رفع هذا الرجل رأسه ونظر إليها، وهو يقول: "مرحبًا بكِ يا ابنتي"، ثم استدعاها. استيقظت بربتوا على هذا الصوت لتجد نفسها كمن يأكل طعامًا حلوًا. وقد أخبرت أخاها بما رأته فعرفا أن الأمر ينتهي بالاستشهاد[47].

ذهب الأنبا **إيشاي البوهي** إلى الإسكندرية، وصار يبشر باسم السيد المسيح، ويصنع باسمه عجائب، حتى ألقى والي الإسكندرية القبض عليه وصار يعذبه متهمًا إياه بالسحر. وكان إذ سأله الوالي عن صناعته يجيبه: **"أنا رجل تاجر جئت لأبيع دمي وأشتري ملكوت السموات هذه التي حرمت نفسك من خيراتها أنت وملكك المنافق"**[48].

في عام ٣١٥م أرسل ليسينيوس *Licinius* واليًا على كبادوكية وأرمينيا يُدعى أغريكولاس *Agricolaus*؛ جاء إلى البلاد كذئب لا عمل له سوى افتراس قطيع المسيح. أرسل إلى الجبال جماعة من الصيادين يقتنصون الوحوش المفترسة لاستخدامها في المسارح لتقديم المسيحيين طعامًا لها. كانت المفاجأة أنهم رأوا بعض الوحوش المفترسة تلاطف إنسانًا في الجبل، وإذ تعرفوا عليه أدركوا أنه بلاسي *Blasie* **أو بلاسيوس** *Blasius* **أسقف سبسطية** من أعمال أرمينيا محب السكون. انطلقوا إلى الوالي يخبرونه بما رأوا فتعجب وظن أن الكثير من المسيحيين يعيشون هناك، فرد الصيادين للبحث عنهم، وإذ لم يجدوا أحدًا سوى الأسقف قبضوا عليه واقتادوه إلى الوالي. أما هو فقابلهم بالرحب والبشاشة، قائلاً لهم: **"أهلاً بكم، فقد طال انتظاري لمجيئكم؛ إمضوا بي إلى حيث يُسفك دمي لأجل يسوع المسيح، فقد تراءى**

---

[47] المؤلف: قاموس آباء الكنيسة وقديسيها مع بعض الشخصيات الكنسية.

[48] المؤلف: قاموس آباء الكنيسة وقديسيها مع بعض الشخصيات الكنسية.

لي إلهي اليوم ثلاث مرات، وقد قبل أن أقدم له حياتي ذبيحة"[٤٩].

✞ يجب علينا أن **نتذكر الملكوت**، وأنه يلزمنا ألا نسلك حسب إرادتنا، بل حسب إرادة الله، حسبما أمرنا الرب أن نصلي به يوميًا.

يا له من جنون مطبق وسخف، أننا بينما نطلب أن تعمل إرادة الله فينا إلا أنه عندما يدعونا الله لينتزعنا من هذا العالم لا نطيع إرادته! بل نقاوم ونصارع كعبيد متمردين، فنذهب إلى حضرة الرب بحزن وأسف، تاركين هذا العالم عن ضرورة وليس في طاعة لإرادة الله، ومع ذلك نريد أن يمجدنا الله، الذي نذهب إليه جبرًا، بالأكاليل السماوية.

لماذا إذًا نصلي طالبين **"ليأت ملكوتك"**، مادام أسر هذا العالم يبهجنا؟! لماذا نطلب في صلوات متكررة أن يسرع يسوع بمجيء ملكوته، إن كانت كل رغباتنا واشتياقنا تنصب في إطاعة الشيطان هنا أكثر من أن تنصب في أن نملك مع المسيح؟!"[٥٠]

الشهيد كبريالوس

✞ إننا نموت مؤقتًا، فنعبر بالموت إلى الخلود. **فبدون الرحيل عن هذه الحياة لن نبلغ الحياة الأبدية**.

الموت ليس نهاية، إنما هو مجرد عبور. فإذ نجتاز هذه الرحلة إنما تكون بمثابة ممر يؤدي إلى الأبدية.

من منا لا يسرع لكي ينال أمورًا أفضل؟!

من منا لا يتوق إلى التغير والتحول ليكون على شبه المسيح، ويصل بسرعة أعظم إلى شرف المجد السماوي، حيث يُعلن الرسول بولس ويقول: "فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضًا ننتظر مخلصًا هو الرب يسوع المسيح، الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده" (في٣: ٢٠، ٢١)؟

لقد وعدنا المسيح الرب أن نكون هكذا، عندما نكون معه، ونعيش معه في المنازل الأبدية، ونتمتع بالملكوت السماوي، إذ صلى للآب من أجلنا: "أيها الآب

[٤٩] المؤلف: قاموس آباء الكنيسة وقديسيها مع بعض الشخصيات الكنسية.

[50] *Treatise 7 On the Mortality, 18.*

أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني" (يو٢٤:١٧). **فالذي يبلغ عرش المسيح ومجد ملكوت السماء، لا يليق به أن يبكي وينتحب، بل يفرح برحيله وتحوله، حسب وعد المسيح وإيمانه بالحق**[51].

الشهيد كبريانوس

٦. يرفع كنزك إلى السماء!

يبقى المؤمن كل أيام غربته يحول كل ما لديه إلى مخازن السماء، حتى متى جاءت ساعة الخروج من العالم تطمئن نفسه أنه قد صار له كنز أبدي هناك.

إذ أمر القاضي الشهيدة جوليتا *St. Julitta* بتقديم العبادة للإله زيوس، أجابته بشجاعة قائلة: "يمكنك أن تأخذ كل أملاكي وتعطيها للغرباء، أو أن تقطع جسدي وتأخذ حياتي، لكنني لن أنطق بكلمة واحدة تهين الله الذي خلقني، وإذا أردت أن تأخذ مني قطعة من أرض هذا العالم فسأكسب السماء عوضًا عنها".

☩ اخوتي، اذكروا وتأملوا... من من الأجيال السابقة بقى في هذا العالم ليعيش هنا مخلدًا إلى الأبد؟!

لقد اكتسح الموت الأجيال السابقة...

لذلك فإن الحكماء عندما ينالون أمورًا صالحة، يرسلونها أمامهم كما قال أيوب: "هوذا في السموات شهيدي" (أي١٦:١٩)... وقد أوصى الرب الذين معهم ممتلكات أن يصنعوا لهم أصدقاء في السماء، وأن يكنزوا كنوزهم في السماء (لو٩:١٦، مت٢٠:٦)[52].

الأب أفراهات

٧. يدخل بنا إلى السيد المسيح!

حضر **القديس يوحنا الذهبي الفم** صلاة جنازة ففوجئ بالنساء يلبسن ثياب الحداد، والأقرباء يبكون بمرارة. تألم القديس متسائلاً إن كان الشعب يثق فيما يسمعه،

---

[51] *Treatise 7 On the Mortality, 22.*

[52] *Demonstration 22 Of Death and the Latter Times, 9.*

أنه يعبر إلى السيد المسيح. لقد طالب الشعب أن يتعزى لأن الراقد قد انتقل إلى من يحبه ويعيش معه إلى الأبد.

† إن كنا نؤمن بالمسيح، فلنثق في كلماته ومواعيده (يو ١١: ٢٥، ٢٦) حيث لا نموت قط إلى الأبد. لنأت بثقة مفرحة إلى المسيح الذي به ننتصر ونتوّج إلى الأبد.

الشهيد كبريانوس

٨. الغلبة على الجحيم

يعتمد كاتب "**أعمال بيلاطس** *Acts of Pilate*" على المزمور ليقدم لنا دراما تمت في الجحيم عند موت السيد المسيح. يقول الكاتب أن السيد المسيح إذ اقترب إلى الجحيم، ارتعب الجحيم جدًا، وسُمع صوتًا كصوت رعد يقول: "ارفعوا أيها الحكام أبوابكم؛ ارتفعي أيتها الأبواب الدهرية، ليدخل ملك المجد!" أرسل الجحيم إبليس ليدخل في معركة مع المسيح. بينما أحكمت الشياطين الأبواب النحاسية والقضبان الحديدية. وإذ سأل الجحيم كأنه لا يعرف: "من هو ملك المجد؟" أجابت الملائكة: "الرب القوي القدير، الرب القوي في الحروب". وفي الحال إذ جاءت هذه الإجابة الملائكية تهشمت الأبواب النحاسية إلى قطع، وانسحقت القضبان الحديدية، وانحلت قيود الأموات، ويقول الكاتب: "وكنا نحن معهم". ودخل ملك المجد كإنسان، وأشرق النور على كل مكان مظلم في الجحيم"[53].

وُلد **الأمير تادرس المشرقي في صور بسوريا** سنة ٢٧٥م، وقد دعاه الأقباط "تادرس المشرقي *St. Theodore the Oriental*" لتميزه عن القديس تادرس الشطبي، إذ كان كلاهما أميرين وقائدين في الجيش الروماني، تعتز بهما الكنيسة القبطية.

عُرف تادرس بشجاعته وقدرته العسكرية كقائد ماهر ونبيل، وكان منهمكًا في الحرب عند نهر أنطوش أثناء وفاة نوماريوس وتولى دقلديانوس الحكم. وقد شاهد هذا القائد الرؤيا التالية:

رأى كأن سلمًا يرتفع من الأرض إلى السماء، وعند قمة السلم كأن الرب

[53] *Acts of Pilate, 21.*

نفسه جالس على منبر عظيم وحوله ألوف ألوف وربوات ربوات يحيطون به وهم قيام يسبحونه. نظر أيضًا كأن تنينًا عظيمًا رابضًا تحت السلم. عندئذ قال له الجالس على العرش: "أتريد أن تكون ابنا لي؟" فقال له: "من أنت يا سيدي؟" أجابه: "أنا يسوع كلمة الله، وسوف يسفك دمك على اسمي". ثم رأى أحد الوقوف حوله قد أخذه وعمده في **معمودية نار، وغطسه ثلاث مرات فصار كله نارًا مثله مثل كل الواقفين حول** الرب[٥٤].

يتهيأ قلب المؤمن للموت إن أدرك أن الله هو نصيبه:

✝ قال الرب لهرون وللاويين: لا ترثوا من أرضهم شيئًا، ولا يكون لكم نصيب معهم، لأني أنا نصيبكم وميراثكم... (عدد١٨:٢٣). قيل هذا عن جميع الذين يرفضون الأمور العالمية، ويتركون الأرضيات ولا يشتهونها. هؤلاء حظهم (نصيبهم) هو الرب، وهم يحفظون ناموسه القائل: لا تهتموا بما تأكلون ولا بما تشربون، ولا بما تلبسون[٥٥].

أنثيموس أسقف أورشليم

✝ الإنسان الذي ترك أمور هذه الحياة، ولم يعد له أي نصيب في الأرض وليس لديه أية شهوة إليها، بل يكتفي بالرب وحده عوضًا عن الكل، مثل هذا يقول: "**الرب هو نصيبي**". وبالتالي يقول: "**أن أحفظ ناموسك**"، أي أحفظ الناموس الروحي الذي يقول عنه بولس الرسول: "فإننا نعلم أن الناموس روحي" رو١٤:٧ الخ. فكيف إذًا يستطيع هؤلاء أن يتخذوا الرب نصيبًا لهم ما لم يحفظوا ناموسه؟[٥٦]

العلامة أوريجينوس

٩. يقدم درسًا عمليًا

يقوم الموت بدورٍ تعليمي للإنسان الذي لـم يـرَ أصلـه فيظـن فـي نفسـه شيئًا،

---

[٥٤] المؤلف: قاموس آباء الكنيسة وقديسيها مع بعض الشخصيات الكنسية.

[٥٥] القمص تادرس يعقوب ملطي: المزمور المئة والتاسع عشر (١١٨) غنى كلمة الله ولذتها، ١٩٩٦.

[٥٦] القمص تادرس يعقوب ملطي: المزمور المئة والتاسع عشر (١١٨) غنى كلمة الله ولذتها، ١٩٩٦.

لذلك سمح الله للإنسان أن يرجع إلى أصله "التراب"، ويشكر الله الذي سبق فخلقه والآن يقيمه من الأموات.

☩ يا إنسان عندما أوجدك خالقك من التراب، لم ترَ ذلك. **لو أنك شاهدت نفسك تتشكل ما كنت تبكي لحقيقة أنك ذاهب لتموت.**
رأيت نفسك وأنت كامل، كائن حي قد تشكلت في جمال، ترى نفسك على شكل خالقك.

إذ لم ترَ نفسك تولد ولا وأنت تموت فمن أين لك أن تعرف من أين أنت، أو من أنت؟ لهذا السبب تنسب كل شيء للطبيعة، وتنسب كيانك لذاتك، وليس لله. **لهذا ردك الله خلال طريق الطبيعة لكي تدرك ماذا كنت وتشكره بكونه يقيمك من الأموات**[57].

الأب بطرس خريستولوجوس

اشتياق الله إلى دخولنا إلى السماء

☩ بالنسبة للقائل "أحمق"، فقد أضاف السيد نار جهنم (مت٥:٢٢). وها هو يذكر الآن اسم جهنم لأول مرة، إذ تحدث قبلاً عن الملكوت دون ذكر الجحيم، دالاً على أن الملكوت يأتي من محبته وتساهله تجاه البشر، أما الجحيم فيأتي من توانينا[58].

القديس يوحنا الذهبي الفم

[57] *Peter Chrysologus: Sermon, 101.*

[58] *In Matt. Hom. 11:15.*

لنغبط المنتقلين

لنشهد عن إيماننا عمليًا

✝ أما بالنسبة لي أنا أيضًا، أقل من الجميع وآخرهم، فقد كشف لي الله مرارًا، وأمرني بتنازله (لطفه) مرات عديدة وبوضوح أنه يلزمني أن أحمل الشهادة باجتهاد، وأن أعلن للعامة ألا نبكي على اخوتنا الذين يتحررون من هذا العالم بناء على دعوة من الرب، مادمنا نعلم أنهم لم يُفقدوا بل أرسلوا قبلنا.

وإذ هم رحلوا عنا، إنما كمسافرين سبقونا (في الرحيل)، أو كبحارة اعتادوا على هذا. لنشتاق إليهم، لكن لا ننتحب عليهم.

ليس لنا أن نلبس عليهم ثيابًا سوداء طالما قد أخذوا معهم إلى هناك الثوب الأبيض.

ليتنا لا نعطي فرصة للأمم، حتى لا يوبخوننا باستحقاق وحق، إذ نحزن من أجل أولئك الذين نقول عنهم أنهم مع الله أحياء، وأنهم قد انقرضوا أو فنوا. بهذا لا نقر شهادة القلب ونقاوم الإيمان الذي ننطق به بالكلام. إننا بهذا نراوغ رجاءنا وإيماننا، فيظهران أنهما تصنعًا وإدعاءً، وأنهما مزيفان. مع أنه لا فائدة من تأكيد الفضيلة بأقوالنا إن كنا نحطم الحق بأعمالنا[59].

الشهيد كبريانوس

الرسول يوبخنا

✝ أخيرًا، فإن الرسول بولس يوبّخ الذين يحزنون على رحيل أصدقائهم وينتهرهم لائمًا: "من ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الاخوة من جهة الراقدين لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم... لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضًا معه" (١تس ٤: ١٣، ١٤).

إنه يقول بأن الذين يحزنون على رحيل أحد أصدقائهم هم الذين لا رجاء لهم. أما الذين يعيشون في الرجاء، ويؤمنون بالله، ويثقون أن المسيح تألم (مات) عنا وقام ثانية يرتبطون بالمسيح، وخلاله وفيه يقومون، فلماذا لا نريد أن نرحل عن

---

[59] *Treatise 7 On the Mortality, 20*

الحياة؟ أو لماذا نحزن ونبكي من أجل أصدقائنا عندما يرحلون كأنهم قد فقدوا، مع أن المسيح نفسه ربنا يشجعنا قائلاً: "أنا هو القيامة والحياة، من آمن بي ولو مات فسيحيا، وكل من كان حيًا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد" (يو ١١:٢٥،٢٦)؟

إن كنا نؤمن بالمسيح، فلنثق في كلماته ومواعيده، حيث لا نموت قط إلى الأبد. لنأتِ بثقة مفرحة إلى المسيح الذي به ننتصر ونتوج إلى الأبد[٦٠].

الشهيد كبريانوس

اللّه يبكر بانتقال الأبرار

✞ إذ أرضى أخنوخ الله انتقل... "وسار أخنوخ مع اللّه، ولم يوجد لأن اللّه أخذه" (تك٥:٢٤). فإذ يُسر اللّه بإنسان يكون هذا الإنسان مستحقًا أن ينتقل من وباء هذا العالم. ويعلمنا الروح القدس بواسطة سليمان أن الذين يرضون اللّه يؤخذون مبكرًا... حتى لا يتسخون بتأخيرهم أكثر في هذا العالم بوبائه، فيقول: "كان مرضيًا للّه، فأحبه وكان يعيش بين الخطاة فنقله، خطفه لكي لا يغير الشر عقله" (حك٤:١٠،١١)[٦١].

الشهيد كبريانوس

هوذا العالم يزول!

✞ إن كان هذا هو ما يليق بعبيد اللّه، فكم بالأولى جدًا بالنسبة لنا نحن الآن حيث نرى العالم ينهار وهو مشحون بتجارب الشرور الضارة. إننا ننظر الأمور المرعبة قد بدأت، ونعلم أن هناك أمورًا أكثر رعبًا أوشكت أن تحدث ... فالإسراع بالرحيل (من هذا العالم) هو ربح عظيم!!

لو أنكم وأنتم في مسكنكم رأيتم الحوائط تتمايل بعامل الزمن، والسقف يهتز، والبيت قد بليَ وصار مهددًا بالخراب... أما تتركونه للحال؟!

إن كنتم في رحلة، فثارت عاصفة عنيفة وارتفعت الأمواج بشدة تخطركم بدمار السفينة، أما تطلبون الميناء سريعًا؟!

---

[60] *Treatise 7 On the Mortality, 21.*

[61] *Treatise 7 On the Mortality, 23.*

آه! هوذا العالم يتغير ويزول... أمـا تشكرون اللّـه، وتهنئـون أنفسـكم إذ تخلصون بالرحيل المبكر من الدمار والضيقات التي أوشكت أن تحدث؟![62]

الشهيد كبريانوس

لنعد إلى الفردوس

☩ أعزائي الاخوة الأحباء ... يلزمنا أن نأخذ في اعتبارنا أننا نتأمل إلى ما شاء الله لنا أن نترك العالم، فإننا نعيش الآن كضيوف وغرباء.

ليتنا نحب اليوم المعين لنا، الذي فيه نتحرر من فخاخ العالم، ونعود إلى الفردوس والملكوت...

لأنه أي إنسان وُضع في بلدٍ غريبٍ أما يريد أن يسرع في العودة إلى بلده؟! ومن من الذين يسـرعون في العودة (بحرًا) إلى أصدقائهم لا يرغبون في ريح موافقة حتى يلتقوا سريعًا بأولئك الذين هم أعزاء عليهم؟!

إننا نتطلع إلى الفردوس كبلدنا... والآباء (البطاركة) كآباء لنا، فلماذا لا نسرع بل ونجرى، لكي ننظر مدينتنا ونحيي آباءنا؟! فـإن لنـا أعـزاء كثـيرين جدًا ينتظروننا. لذلك أية سعادة تغمرنا وإياهم عندما نجتمع سويًا؟!

أي سرور في الملكوت السماوي حيث لا نعود نرهب الموت؟! وأية سعادة لذيذة دائمة بحياة أبدية؟!

هناك توجد الشركة المجيدة مع الرسل، هناك يوجد جوقة الأنبياء المتهلّلين، هناك جموع الشهداء غير المحصيين، المتوجين بالنصرة في صراعهم ضد الشهوات، هناك جموع البتوليين الفائزون الذين قهروا شهوات الجسد بعفتهم... هناك الرحماء مكلّلين، هؤلاء الذين صنعوا البرّ بإطعامهم الفقير ومساعدتهم له، وقد حفظوا وصايا الرب، وحوّلوا ممتلكاتهم الأرضية إلى كنوز سمائية.

إذًا لنسرع إلى هؤلاء الاخوة الأحباء بشوقٍ عظيم. ليتنا نود الوجود معهم ونسرع بالمجيء إلى المسيح.

لينظر الله إلى شوقنا العظيم، وليتطلع المسيح الرب إلى هدف ذهننا وإيماننا،

[62] *Treatise 7 On the Mortality, 25.*

هذا الذي يقدم الجزاء العظيم الذي لمجده للذين لهم رغبة عظيمة في تكريمه"[٦٣].

الشهيد كبريانوس

عبارات كتابية عن الموت

❖ "تمت نفسي موت الأبرار، ولتكن آخرتي كآخرتهم" (عدد ٢٣:١٠).

❖ "أيضاً إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شراً، لأنك أنت معي" (مز ٢٣:٤).

❖ "الحق الحق أقول لكم: إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد" (يو ٨:٥١).

❖ "طوبى لمن اخترته وقبلته ليسكن في ديارك إلى الأبد" (مز ٦٥:٤).

❖ "أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حيًا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد" (يو ١١:٢٥، ٢٦).

[63] *Treatise 7 On the Mortality, 26.*

أنواع الموت

الخطية وموت النفس والجسد

الله في حبه أنذر آدم أنه يوم يعصاه "موتًا يموت" (تك٢:١٧)، لم يكن هذا تهديدًا، ولا انتقامًا، ولا حتى تأديبًا، إنما كان كشفًا لأمر طبيعي ربما كان آدم يجهله. الله في محبته وعطفه الأبوي أعلن لآدم نتائج العصيان الطبيعية، وثمار الانفصال عن الله والابتعاد عنه. لأن آدم صورة الله خالقه، والصورة ليس لها كيان في ذاتها، ولا تقوم بذاتها بل بالأصل. فإن انفصلت عن الأصل فسدت طبيعتها ودب الموت فيها.

هذا بالنسبة للنفس التي هي صورة الله، إذ تموت بانفصالها عن مصدرها "الله". أما بالنسبة للجسد، فإن حياته تكمن في نفسه، **وإذ تموت نفسه بانفصالها عن الله بإرادتها، تلتزم بالانفصال عن الجسد بغير إرادتها**. هذا ما حدث بعد السقوط، إذ دب الموت في النفس والجسد!

فالموت لم يكن عقوبة انتقم بها الله من الإنسان لعصيانه، ولكنه وضع طبيعي يجنيه الإنسان بإرادته ويُستعبد له باختياره. ولكن متى أراد أن يقوم لا يقدر، لأنه قد مات، والميت لا يقوم بذاته، بل يحتاج إلى من يقيمه جسدًا وروحًا!

رؤية الموت وتذوقه

يميز **القديس جيروم**[1] بين قول المرتل: "أي إنسان يحيا ولا يرى الموت؟!" (مز ٨٨ [٨٩]:٤٩)، وما جاء في حزقيال النبي: "النفس التي تخطئ هي تموت" (حز ١٨:٤)، قائلاً إن هناك فارقًا بين **رؤية الموت وتذوقه**، فإن [من يرى، يراه بالتأكيد لكنه لا يتذوقه، ومن يتذوقه بالضرورة يراه.] يقصد بهذا كل البشرية - الأبرار والأشرار - ترى الموت، موت الجسد، لكن من كانت نفسه مقدسة في الرب يرى موت جسده دون أن يذوق الموت، إذ هو حامل قوة قيامة المسيح عاملة فيه.

المؤمن الذي يخضع جسده دون نفسه للموت، يراه في جسده ولا يذوقه في

[1] *In Ps., hom. 80.*

نفسه، حيث لا سلطان للموت على نفسه. وكما يقول السيد المسيح: "الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد" (يو٨: ٥١). لم يستطع اليهود أن يدركوا كلماته، لذا قالوا له: "الآن علمنا أن بك شيطانًا. قد مات إبراهيم والأنبياء وأنت تقول إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يذوق الموت إلى الأبد. ألعلك أعظم من أبينا إبراهيم الذي مات؟! والأنبياء ماتوا! من تجعل نفسك؟!"

موت النفس وموت الجسد

✞ كان هناك ميت يحتاج إلى دفن (مت ٨: ٢٢)، ووجد أموات أيضًا يدفنون الميت. واحد ميت بالجسد والآخرون أموات بالروح.

✞ كيف يحدث موت للنفس؟ عندما لا يوجد إيمان!

كيف يحدث موت للجسد؟ عندما لا توجد النفس!

إذن فحياة النفس هو الإيمان. يقول المسيح: من آمن بي، وإن كان ميتًا بالجسد فإنه يحيا في الروح، حتى يقوم الجسد أيضًا ولا يموت بعد[2].

✞ كما أن الجسد يموت بفقده النفس التي هي حياته، هكذا تموت النفس بفقدها الله الذي هو حياتها.

✞ يريدنا أن نموت لكي نعيش، فإننا نعيش لكي نموت![3]

القديس أغسطينوس

✞ كما يوجد موت الجسد يوجد موت للنفس... موت النفس على أي الأحوال ليس كموت الجسد، إنه مفزع للغاية. موت الجسد هو انفصال النفس عن الجسد، الواحد عن الآخر، فيعتق الإنسان من الاهتمامات المعلقة والأتعاب وينقل الآخر (النفس) إلى مسكن واضح. عندئذ إذ ينحل الجسد ويتحلل يعود فيجمع من جديد في عدم فساد، ويتقبل النفس التي له مرة أخرى. هذا هو موت الجسد، أما موت النفس فمخيف ومرعب. ففيه إذ يحدث انحلال لا تنتهي النفس كالجسد، إنما ترتبط بالجسد

---

[2] *In Ioan 49:15.*

[3] *In Ioan 23:9; 47:8.*

مرة أخرى، ولا تفنى بل تُلقى معه في نار لا تُطفأ[4].

القديس يوحنا الذهبي الفم

✝ ضد هذا الموت (للنفس) وعدوه ذاك القائل: "أنا هو الحياة" (يو١٤: ٦)[5].

العلامة أوريجينوس

خطورة موت النفس

✝ يقول الرسول بحق "**أما المتنعمة فقد ماتت وهي حيّة**" (١تي٥: ٦). لأن النفس التي تعيش هكذا لا يمكن أن تسمع ولا تقدر أن تسمع، هي نفس مرتخية، عديمة السخاء والشجاعة والحرية. خجولة قليلة الحياء، ساقطة متملقة، جاهلة، غضوبة، شرسة، ومليئة بكل الشرور، ومجردة من كل الحسنات[6].

✝ "**أما المتنعمة فقد ماتت وهي حيّة**" (١تي٥: ٦).

الأحياء هم الذين يعملون للحياة العتيدة، أي الحياة الحقيقية. وما هي الحياة العتيدة التي يجب أن نشغل بها أنفسنا دون توقف؟ اسمعوا قول السيد المسيح: "تعالوا إليّ رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم لأني جُعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني" (مت٢٥: ٣٤، ٣٥).

هل الأحياء لا يتميزون عن الأموات إلا برؤية الشمس والسماوات؟، أقول لا، ليس هذا هو الفرق، بل هو ممارسة الخير، فإن لم يمارسوه فهم ليسوا أفضل من الأموات[7].

✝ "**أما المتنعمة فقد ماتت وهي حيّة**" (١تي٥: ٦).

هل هذه هي الحياة الإنسانية؟ أليست البهائم أيضًا تأكل وتشرب؟ فمتى ماتت **النفس فما هي الحاجة للطعام والشراب؟** عندما يصبح الجسد جثة، فالملابس المعطرة التي تغطيه لا تنفعه شيئًا، وبالأكثر إذا ماتت النفس فإنها لا تستفيد البتة

---

[4] *In Eph. hom 18.*

[5] *Comm. In Matt. 13: 9.*

[6] *In 1 Tim. hom 13.* (ترجمة سعاد سوريال المحامية)

[7] *In 1 Tim. hom 13.* (ترجمة سعاد سوريال المحامية)

من عطر الجسد. إذا كان فكره لا ينشغل سوى بالطبّاخين ورؤساء الخدم وبالخبّازين، إذا كان لا ينطق بعبارة فيها تقوى أليس هو ميت؟ ما هو واقع الإنسان؟[8]

✠ هل تُريدون أن تعرفوا ما هو الترمل وما هو صفاته؟ اسمعن القديس بولس يقول: "مشهودًا لها في أعمال صالحة إن تكن قد ربت الأولاد، أضافت الغرباء، غسلت أرجل القديسين، ساعدت المتضايقين، اتبعت كل عمل صالح" (اتي٥:١٠،١١). فإذا كان قد مات زوجك وتظهرين إنك دائمًا محاطة بالزهو والثراء، فأنت لا تعيشين حياة الترمل. انقلي ثراءك إلى السماء، فيصبح ثقل ترملك خفيفًا.

قد تقولين: ولكن إذا كان عندي أولاد ويجب أن يرثوا ما تركه والدهم؟

علميهم أن يحتقروا الثراء، دعي خيراتك تذهب إلى السماء؛ وأعطي كل منهم ما يكفيه، عليهم أن يكونوا فوق المال[9].

القديس يوحنا الذهبي الفم

الموت عن الخطية

✠ حسب الكتب المقدسة نحن نتعلم أنه يوجد **ثلاثة أنواع من الموت:**

موت عندما **نموت عن الخطيئة** ونحيا لله. مبارك هو هذا الموت الذي به نهرب من الخطيئة ونتكرس لله، فيفصلنا عما هو مائت ويقدسنا لذاك الذي هو غير مائت.

والموت الآخر هو **الرحيل عن هذه الحياة**، كما مات الأب إبراهيم والأب داود ودفنا مع آبائهما، عندما تتحرر النفس من قيود الجسد.

والموت الثالث هو ما قيل عنه: "دع الموتى يدفنون موتاهم" (مت ٨:٢٢). بهذا الموت لا يموت الجسد فقط بل والنفس أيضًا، لأن **"النفس التي تخطئ هي تموت"** (حز ١٨:٤). تموت عن الرب، لا من خلال ضعف الطبيعة، وإنما بارتكاب المعصية. هذا الموت ليس تركًا لهذه الحياة بل هو السقوط في الخطأ.

---

[8] *In 1 Tim. hom 13.* (ترجمة سعاد سوريال المحامية)

[9] *In 2 Tim. hom. 7.*

✞ إذن الموت الروحي شيء، والموت الطبيعي آخر، والثالث هو الموت العقوبة"[1].

✞ كيف يمكن أن يدفن الموتى موتاهم (مت ٨:٢٢)؟

هنا يشير إلى موت مزدوج **موت الجسد وموت الخطية**، بل ويوجد موت ثالث به **نموت عن الخطية** ونحيا مع لله، كما فعل المسيح الذي مات عن الخطية: "لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطيّة مرّة واحدة والحياة التي يحياها فيحياها لله" (رو٦:١٠).

يوجد **موت** يفصل الجسد عن النفس، هذا الموت يجب ألا نخشاه ولا نهابه لأنه بداية الانطلاق وليس عقوبة، الأقوياء لا يرتعبون منه، والحكماء يشتهونه، والتعساء يتمنونه إذ قيل: "يطلب الناس الموت ولا يجدونه" (رؤ٩:٦).

ويوجد **موت آخر** يضع نهاية لملذات العالم حيث لا يموت الجسد بل تموت الخطية، هذا الموت نمارسه عندما نُدفن مع المسيح ونموت معه في المعمودية (رو٦:٤، كو٢:٢٢)، نموت عن أمور هذا العالم، وننسى حياتنا الأولى، هذا الموت أراده بلعام لكي يحيا له، عندما تنبأ: "لتمت نفسي موت الأبرار ولتكن آخرتي كآخرتهم" (عد٢٣:١٠).

والموت الثالث يحمله المسيح (بالصليب) لحياتنا، فنحن نعرف أنه هو الحياة الأبدية (يو١٧:٣)، يراه الأبرار الآن كما في لغز، لكنهم يرونه أخيرًا وجهًا لوجه. لأن: "نفَس أنوفنا مسيح الرب أُخذ في حفرهم الذي قلنا عنه في ظلّه نعيش بين الأمم" (مراثي٤:٢٠)، وكان رجاء داود يكمن تحت ظل جناحيه (مز٥٦:٢)، واشتهت الكنيسة ظله لتجلس تحته (نش٢:٣).

إن كان ظلك يا ربي يسوع له نفع كهذا فكم تكون حقيقتك؟!...

"حياتكم مستترة مع المسيح في الله؛ متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهرون أنتم أيضًا في المجد" (كو٣:٣،٤). عجيبة هي هذه الحياة التي لا تعرف الموت!... لا يمنع الرب أن نبكي وندفن موتانا، لكنه يضع التقوى الدينية في المرتبة الأولى ثم تليها الرباطات العائلية. ليُترك الموتى (روحيًا) أن يدفنوا موتاهم، أما المختارون

[1] *On the Belief in the Resurr. 2; 36 , 37.*

فليتبعوه...[11]

القديس أمبروسيوس

♱ "نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها؟!" (رو٦:٢).

إنه يتهرب من الخطية، ويُعلن أنه لا يجوز أن نعمل الخطية، مثل من مات عن الحياة لا يستطيع أن يعود إليها. هكذا أيضًا الذين ماتوا عن الخطية لا يليق بهم أن يرجعوا إليها[12].

♱ "عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليُبطل جسد الخطية، كي لا نعود نستعبد أيضًا للخطية" (رو٦:٦)...

جسد الخطية هو الشر، وعندما قام المسيح وأقامنا مات وكفّ الجسد من أن يخطئ. إن الجسد ليس شريرًا، ولم يتكون من الخطية، ولكنه دُعي جسد الخطية من باب استعباده للخطية وضعفه بسبب الميتوتة.

"كي لا نستعبد أيضًا للخطية"، لأن الجسد إذ كان مستعبدًا للخطية دُعي جسد الخطية، ومتى قام معه فهو ليس عبدًا للخطية[13].

ابن الصليبي

♱ يؤكد لنا القديس بولس قائلاً: "إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضًا معه" (٢تي٢:١١). إن كنا نصبر فسنملك أيضًا معه"، وأيضًا "فإن كنا أولادًا فإننا ورثة أيضًا". لماذا ننخفض إلى الأرض، والله يريد أن يرفعنا إلى السماء؟

إلى متى نظل بإرادتنا في فقرنا وبؤسنا؟

الله يعرض علينا السماء، ومع ذلك فإن أعيننا ورغباتنا لا تتجه إلا إلى الأرض.

الله يقدم لنا ملكوت السماء، ونحن نتجه إلى فقر الأرض.

يقدم لنا البيت السماوي، ونحن نفنى ذواتنا في تراب وطوب وخشب

---

[11] *In Luc 9:57-62.*

[12] تفسير رومية ٦:٢ (ترجمة مار سويريوس اسحق سكا، ١٩٩٧).

[13] تفسير رومية ٦:٦ (ترجمة مار سويريوس اسحق سكا، ١٩٩٧).

الأرض[14].

✞ الذي يكافح ليُتَوّج بتاج أرضي تهون عليه المخاطرة حتى الموت، ونراه دائمًا مسلحًا ومتأهبًا للجهاد، أما نحن فنريد أن نغتصب تاج السماء ومجدها ونحن نيام متراخون! [15]

القديس يوحنا الذهبي الفم

✞ **"اعضدني حسب قولك فأحيا، ولا تُخيِّب رجائي"** (مز ١١٨: ١١٦). ذاك الذي قال قبلاً: **"أنت ناصري"**، يصلي لكي ما يُسند أكثر فأكثر... الأمر الذي من أجله يحتمل أتعابًا كثيرة...

يقول عن المستقبل "فسأحيا"، كما لو كنا لا نحيا حاليًا في هذا الجسد المائت. بينما ننتظر رجاء أجسادنا نخلص بالرجاء، مترجين ما لا نراه، منتظرين بصبر (رو ٨: ٢٣-٢٥). لكن الرجاء لا يخيب، إن كان حب الله ينتشر في قلوبنا بالروح القدس الذي أُعطي لنا (رو ٥: ٥)[16].

القديس أغسطينوس

✞ الشهوات الجسدية تمثل جزءًا أساسيًا في الجسد، وبوصايا العدالة والمسامير يمزق خوف الله جسدنا ويصلبه كذبائح مقبولة لدى الرب[17].

القديس أغسطينوس

✞ أن تتطلع إلى الصليب يعني أن يجتاز الإنسان بكل حياته كميتٍ ومصلوبٍ عن العالم (غلا ٦: ١٤)، لا يحركه الشر. حقًا كما يقول النبي **"سمروا جسدهم بخوف الله"** [١٢٠]. المسمار هو ضبط النفس الذي يضبط الجسد[18].

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

---

[14] *In 2 Tim. hom. 10.*

[15] *In 2 Tim. hom. 10.*

[16] القمص تادرس يعقوب ملطي: المزمور المئة والتاسع عشر (١١٨) غنى كلمة الله ولذتها، ١٩٩٦.

[17] القمص تادرس يعقوب ملطي: المزمور المئة والتاسع عشر (١١٨) غنى كلمة الله ولذتها، ١٩٩٦.

[18] *Life of Moses, p. 274.*

رأينا أنه بالعصيان فقد الإنسان رؤيته وتذوقه للحب الإلهي، ففقدت النفس حياتها. صارت النفس ميتة، إذ اعتزلت الله مصدر حياتها، بالرغم من تحرك الجسم وممارسته للأعمال اليومية. هذا الموت الذي حلّ بالنفس هو استباق لموت الجسد حيث تعتزله النفس مصدر حياته.

وكما أن موت النفس هو استباق لموت الجسد، هكذا قيامة النفس هو استباق لقيامة الجسد في يوم الرب العظيم. فمن التصقت نفسه بالفادي واهب القيامة، تقوم نفسه بالمصالحة مع الله ودخولها دائرة الحب السمائية هذه القيادة التي يختبرها المؤمن الحقيقي هي عربون لقيامة الجسد في يوم الرب العظيم.

يقول **الأب غريغوريوس بالاماس**: [إن قيامة النفس ليس سوى استباق للقيامة الجسدية في اليوم الأخير. ففي الواقع يعني الأمر ضمانة حياة أبدية جلبها المسيح، تعمل في قلب الإنسان. وإنما على العقل أن يتعلق بهذا الضمان، فيكتشفه في القلب، ويساهم هكذا، في الصورة العقلية وغير الجسمانية الخاصة به، في نشاط شامل للأنسان المتجه نحو إلهه[19]].

تهتم الكنيسة **بقيامة النفس** أولاً، فإن الجسد سيقوم حتمًا، فإن كانت النفس متمتعة بالقيامة ينعم معها بالمجد الأبدي، لهذا **يقول القديس أغسطينوس**:

✞ إنه لعمل معجزي أعظم أن يقوم شخص ليحيا إلى الأبد عن أن يقوم ليموت ثانية[20].

✞ لقد فرحت الأم الأرملة عند إقامة الشاب، وها هم البشر يقومون كل يوم بالروح والكنيسة كأم تفرح بهم. ذاك كان ميتًا حقًا بالجسد، أما هؤلاء فهم أموات بالروح. موته المنظور جلب بكاءً منظورًا، وموتهم غير المنظور لم يكن موضع سؤال الآخرين ولا موضع إدراكهم، فبحث عنهم ذاك الذي يعرف أنهم أموات، هو وحده يعرفهم هكذا وقادر أن يهبهم حياة، فلو لم يأتِ الرب ليقيمهم لما قال

---

[19] *Meyendorff: A Study of George Palamas, p.155.* للدكتور عدنان طرابلسي: الرؤية الأرثوذكسية للإنسان، ١٩٨٩، ص ١٦٦-١٦٧.

[20] *Ser. On N.T. 48:1.*

الرسول: "استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح" (أف٥:١٤)... لا يستطيع أحد أن يوقظ آخر من سريره بسهولة مثلما يقدر المسيح أن يوقظ من في داخل القبر[٢١].

القديس أغسطينوس

يرى الآباء في إقامة الثلاثة أشخاص بواسطة السيد المسيح المذكورة في الأناجيل - الصبية ابنة يايرس والشاب وحيد أمه الأرملة ولعازر - تشير إلى إقامة النفوس. يقول **القديس أغسطينوس**: [هذه الأنواع الثلاثة من الموتى هم ثلاثة أنواع من الخطاة لا يزال يقيمهم المسيح إلى اليوم[٢٢]]. **فالصبية ترمز لمن يخطئ داخليًا في القلب، والشاب لمن ارتكب الشر عمليًا بطريقة واضحة، ولعازر لمن تحولت الخطية في حياته إلى عادة، وقد جاء ربنا يقيم الكل!**

يقول **القديس كيرلس الكبير**: [أولئك الأموات الذين أحياهم المسيح أكبر شاهد على قيامة الأموات... وقد أشار الأنبياء المقدسون إلى هذه الحقيقة، إذ قيل: "تحيا أمواتك تقوم الجُثث. استيقظوا ترنموا" إش١٩:٢٦. يراد بالاستيقاظ حياة المسيح التي يهبها بقوة الروح القدس. وأشار أيضًا المرنم إلى ذلك بعبارات خاطب بها الله مخلص العالم: "تحجب وجهك فترتاع، تنزع أرواحها فتموت وإلى ترابها تعود" (مز١٠٤:٢٩). كانت معصية آدم سببًا في إقصاء وجوهنا عن رؤية الله والتصاقها بتراب الأرض، لأن الله حكم على الطبيعة البشرية بالقول: "لأنك تراب وإلى تراب تعود" (تك١٩:٣). ولكن عند نهاية العالم يتجدد سطح الأرض، لأن الله الآب يهب بابنه حياة لجميع ما في الكون. الموت جلب على الناس الشيخوخة والفساد... أما المسيح فهو المحيي والمجدد لأنه هو الحياة[٢٣].]

[21] *Ibid 84:2.*

[22] *Ser. On N.T. 48:5.*

[٢٣] عظة ٣٦.

بالموت داس الموت

موقف الله المحب

الله في عطفه الأبوي الإلهي، لم يترك الإنسان مستعبدًا للموت روحيًا وجسديًا، لهذا كما قطف آدم بإرادته موتًا لنفسه وجسده، تقدم الرب يسوع، كلمة الله المتجسد، وقدم له ذاته ليقتطف منه حياة لنفسه وجسده إن أراد.

جاء الابن الكلمة - الحي الذي لا يموت - لابسًا جسدًا قابلاً الموت خادعًا الموت. وإذ انقض الموت عليه كما ينقض على كل بني البشر، أسلم الرب المتجسد للموت دون أن ينفصل لاهوته قط عن جسده ولا عن نفسه البشرية. أسلم النفس للجحيم، وإذ لم يطق الجحيم أن يتقبل النور انفجرت أبوابه وخرج الذين ماتوا على رجاء وانطلقت نفوس المتعلقين به إلى الفردوس.

أما الجسد الذي مات، دون أن يفارقه اللاهوت قط، فلم يحتمله القبر، بل عادت النفس واتحدت بالجسد وقام الرب من بين الأموات. بهذا صار للبشر أن يتغنوا قائلين: "أين شوكتك يا موت؟! أين غلبتك يا هاوية؟!" (١كو١٥:٥٥).

هكذا أمات الرب الموت بموته ووهبنا قيامة لنفوسنا ولأجسادنا أيضًا. نتمتع بقيامة النفس من الآن، وإن كنا لا ندرك كمال بركاتها إلا بتمتعنا بالله، مصدر حياة نفوسنا، وجهًا لوجه يوم الدينونة. هنا نتمتع بالعربون، أما هناك فنراه كما هو! هنا تقوم نفوسنا إذ يقول الرب: "الحق الحق أقول لكم أنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون" (يو٥:٢٥). أما الجسد فيعمل فيه الموت هنا، لكن ليس موت الخطية المُهلك، إنما مجرد انفصال النفس عن الجسد، إلى أن تلبس النفس جسدها مرة أخرى بغير فساد. إذ يقول الرسول: "هكذا أيضًا قيامة الأموات، يُزرع في فساد ويقوم في عدم فساد، يُزرع في هوان ويُقام في مجد، يُزرع في ضعف ويُقام في قوة، يُزرع جسمًا حيوانيًا ويُقام جسمًا روحانيًا... كما لبسنا صورة الترابي (آدم) سنلبس أيضًا صورة السماوي (السيد المسيح)" (١كو١٥).

مات الرب بالجسد، ولم تمت نفسه قط، لأنه ليس فيه خطية، ولا صنع شرًا

يحجبه عن اللاهوت، ولم تنفصل نفسه ولا جسده قط عن لاهوته. أما جسده، فإذ هو قابل للموت مات، بانفصاله عن النفس دون انفصال عن اللاهوت لحظة واحدة أو طرفة عين. بهذا الموت الجسدي وهب للإنسان أن تموت نفسه ويموت جسده، وبقيامته وهب للإنسان أن تحيا نفسه ويحيا جسده.

بموته وهب لنفوسنا أن تموت، لا عن الله مصدر حياتها، بل تموت عن الخطية، مصدر موتها. وبموته وهب لأجسادنا أن تموت، لا كأثر من آثار الخطية، بل أعطى للموت الجسدي مفهومًا روحيًا أعمق، ألا وهو مشاركة الرب المتألم المصلوب المدفون!

وبقيامته وهب لنفوسنا أن تحيا، إذ صار لها الله ينبوع حياتها، تتمتع به من الآن إلى أن تراه وجهًا لوجه في الحياة الأبدية. وبقيامته وهب لأجسادنا أن تقوم، لكن ليس الآن، إنما في يوم الدينونة، لتتمتع مع النفس بالرب بسرعة.

✝ "لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطية مرة واحدة" (رو٦: ١٠).

مات لا لأنه مائت بطبعه، لكنه مات بالجسد ليضع نهاية للخطية. وهو حيّ في حياته التي لا تزول كإله[24].

ابن الصليبي

✝ لأنه محب البشر فقد رحب بالموت الذي بدونه لهلك العالم في خطاياه[25].

القديس كيرلس الأورشليمي

✝ دُفن وحده ولكنه أقام الجميع، نزل وحده ليرفعنا جميعًا، حمل خطايا العالم كله وحده ليطهر الكل في شخصه، وكما يقول الرسول:

"نقوا أيديكم إذن وتطهروا" (يع٤: ٨)، فالمسيح غير محتاج للتطهير تطهر لأجلنا.

القديس أمبروسيوس

✝ كن مصلوبًا مع المسيح، مماتًا معه، كن مدفونًا معه، لكي تقوم معه، وتمجد معه،

---

[24] تفسير رومية ٦: ١٠ (ترجمة مار سويريوس اسحق سكا، ١٩٩٧).

[25] *Cat. Lect. 13.*

وتملك معه.

القديس غريغوريوس الثيئولوغوس

هل من ضرورة لموته؟

ارتبطت حياة السيد المسيح بالميلاد كما بالموت، كما بحدّي حياتنا البشرية، البداية والنهاية، لكي تعمل حياته في حياتنا بكل حدودها[26]. يقول **القديس إيرينيؤس**: [كان لا بد للقوة التي تصلح طبيعتنا أن تبلغ كلا الطرفين. كان يلزمها أن تلمس البداية وتمتد إلى النهاية، ليغطي كل ما بينهما[27].] وجاء رأي **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** مطابقًا لرأي **القديس إيرينيؤس**.

✞ اختار ومشى في جميع طرق البشر حتى دخل في باب الموت ليحل آدم! بدأ بالميلاد وكمل الطريق حتى التقى بالموت!

سار باتضاع بوطأة آدم إلى حيث سقط آدم في أعماق الهاوية، فدخل هو وسقط من أجله وجذبه وخرج.

مار يعقوب السروجي

قدم لنا **القديس مار إفرآم السرياني** وغيره من الآباء أحاديث عذبة عن فاعلية موت المسيح، بل قدموا تسابيح رائعة تسحب كل قلب ليختبر عمل موت المسيح فيه. لقد شبه مار إفرآم الموت بذئب مفترس تقدم إليه السيد المسيح "الحمل" بإرادته، وإذ هجم عليه الموت كما يفعل ببقية الحملان ابتلعه، وإذ دخل حمل الله معدته لم تحتمل أحشاؤه كلمة الله فتفجرت معدته وخرج منها كل الذين سبق فابتلعهم الذئب وهم على رجاء مجيء محررهم.

يقدم لنا الآباء فاعلية موت السيد المسيح في حياتنا بصور كثيرة.

✞ جاء إلينا من عند أبيه، متشبهًا بأولئك الذين يولدون ويموتون، ثم عاد فصعد إلى أبيه.

---

[26] *Boniface Ramsey, P. 79.*

[27] *Cat. mag. 27.*

✞ امتهن الموت ربنا، والرب بدوره امتهن الموت صانعًا طريقًا للنصرة!

لقد جعل نفسه خاضعًا للموت محتملاً إياه بإرادته، حتى يكسر سلطان الموت بغير إرادته (أي إرادة الموت)!

حمل صليبه وسلك هكذا كما يريد الموت، وعلى الصليب إذ صرخ أحضر الموت بغير إرادته من الجحيم! **لقد حمل النصرة على الموت، في نفس اللحظة التي فيها قتل الموت الرب، وبنفس الوسيلة (الصليب)!**

لقد اختفى اللاهوت في الناسوت لكي يقاتل الموت! فالموت قتل... لكنه صار مقتولاً!

ذبح الموت الحياة العادية، لكن الحياة فوق العادية ذبحته!

وإذ لم يكن الموت قادرًا أن يلتهم الرب ما لم يتجسد، ولا كان للجحيم أن يبتلعه ما لم يتأنس، لهذا جاء الرب من عذراء، آخذًا منها ناسوتًا، حتى يدخل (بالنفس) إلى الجحيم، وهو في هذا يشبه (مع الفارق) إحضار الجحش مع الأتان، إذ دخل به إلى أورشليم معلنًا خرابها وهلاك أولادها.

مار إفرآم السرياني

✞ إنه كراعٍ شجاع أسر الأسد الذي كان يُرعب القطعان ويخرب الحظيرة، فكسر أنيابه، وخلع مخالبه، وحلق ذؤبته، وتركه كلعبة مضحكة يلعب بها أولاده.

هكذا انتصر المسيح على الموت الذي كان يثير ذعر البشرية، وسلب منه صفته المرعبة، حتى صارت البنات الصغيرات تلهون به[٢٨].

القديس يوحنا الذهبي الفم

الخشبة الأولى وخشبة الصليب

✞ ارتكب آدم الخطيئة بواسطة الشجرة التي هي من خشب،

وابن الله قتل الخطيئة بارتفاعه على خشبة الصليب.

بالموت وطئ الموت واستأصل شجرة الموت.

وشجرة الحياة ألغت شجرة المعرفة.

---

[28] *De S. Polog. PG 50:579.*

وقضت على شجرة الشر والموت.
ووهبت الحياة للأحياء والأموات[٢٩].

مار يعقوب السروجي

مريم أفرخت غصنًا يقتل الموت

✝ بالناسوت الذي أخذه من العذراء صار له أن يدخل (بالنفس) إلى الجحيم، فيسلب خزائنه ويفرغ كنوزه!

لقد جاء إلى حواء، أم كل حي، الكرمة التي بإرادتها جعلت الموت يحطم أسوارها، هذه التي صارت ينبوع موت لكل حي، وأعطاها الرب أن تتذوق من ثمارها.

إذ أفرخت مريم غصناً جديدًا من حواء - الكرمة القديمة - حتى متى جاء الموت ليأكله بثقة إذ اعتاد أن يأكل الثمار القابلة للموت، للحال مات الموت ذاته!...

فإذ يأكل الموت "الحياة" يختزن في داخله من هو ضده!...

وإذ نزل "دواء الحياة" من السماء واتحد بالجسد، جاء الموت كعادته ليتغذى به كثمرة قابلة للموت، وللحال ابتلع "الحياة" الموت بدوره!

إنه الطعام الذي أكل آكله!

فبثمرة واحدة أكلها الموت بنهم تقيأ الكثيرين ممن ابتلعهم بشراهة!...

كان الموت يثابر ليبتلع "واحدًا"، ولا يدرى أنه بهذا كان يسرع ليطلق الكثيرين من قبضته!

لأنه بينما كان واحد على الصليب ميتًا، خرج على صرخته كثيرون ممن في القبور وهم في الجحيم (مت٢٧: ٥٠-٥٣)!

هذه هي الثمرة التي حطمت الموت، فإذ ابتلعها مزقته، وقدمت حياة لمن أرسلت إليهم!...

وكما أنه متى اضطربت معدة إنسان، تقيأ ما بها من حلو ومر، هكذا إذ اضطربت معدة الموت، تقيأ "دواء الحياة" الذي اشمأز الموت منه، كما خرج معه

[٢٩] مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب أسقف سروج، ١٩٩٣، ص٢١٦.

أولئك الذين تلذذ الجحيم بوجودهم فيه!

مار افرآم السرياني

صليب التجسد قنطرة للعبور

✞ هذا هو ابن النجار الذي صنع صليبه بمهارة، كقنطرة فوق الجحيم، يعبرون عليه ليدخلوا مسكن الحياة! وكما أنه بالشجرة هوت البشرية في الجحيم، هكذا من على الشجرة يعبرون إلى مسكن الحياة! فخلال الشجرة ذاقوا المرارة، وخلالها يتذوقون العذوبة، حتى نتعلم أنه لا يوجد في الخليقة شيء يقاوم اللّه!

المجد لك يا من أقمت صليبك جسراً فوق الموت، تعبر عليه النفوس من مسكن الموت إلى مسكن الحياة!

مار إفرآم السرياني

الصليب وباب الفردوس المفتوح

✞ في الساعة التاسعة وقف الحارس (الكاروب) على باب الفردوس،

ومعه رمح من نار ليحرس طريق شجرة الحياة.

وفي تلك الساعة بالذات طُعن رب جنة عدن برمح الأشرار،

لتُفتح أبواب جنة عدن التي كانت مغلقة.

بتضحية الابن أُعيد آدم إلى ميراث الأب.

وبفدائه تحققت للمطرود العودة إلى فردوسه[٣٠].

مار يعقوب السروجي

أخرج آدم من الظلمة إلى النور

✞ اختبأ آدم بعد تمرده خجلاً بين الأشرار.

والفادي من قبر يوسف أعاده بفخار.

من الظلمة أخرجه إلى النور،

بدون رسول أو ملاك، بنفسه أنقذه من الهلاك.

---

[٣٠] مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب أسقف سروج، ١٩٩٣، ص٢٣٦.

✞ لا يحق لعبدٍ أن يسلك طريق الملك،
لأنها محظورة على العبيد،
وملك الموت له سلطان على الإنسان،
وما من أحدٍ يبطل هذا السلطان.
وحده ملك الملوك دخل مدينة الموت،
ليقضي عليه، ويعفيه من سلطانه.

✞ لبس الفادي ثياب الموت...
تشبه بأهل المكان،
أشرق نوره على السكان،
فانطلقت التسابيح تشكر الديّان.
وعندما سمع آدم صوت الابن الحنان،
ابتهج وقدم آيات الولاء والشكران.
كما فعل يوحنا في بطن أمه،
عندما زارتها العذراء،
فعل آدم في أرض الفناء،
لقد انتهى العقاب وفتحت الأبواب،
وزالت سلطة زبانية (شوكة) الهاوية.
لأن الرب أراد أن يرفع يدهم عن مخلوقاته برأفته المتناهية.
نزل إلى مدينة الأموات،
ليفك قيود أسرى الخطيئة والخطاة.
حطم الأغلال وفك القيود.

✞ أسرى أجيال وأجيال وعهود عشائر وقبائل وشعوب،
سجدوا له وقدموا فروض الولاء والشكر.
قاموا من كل حفرة وقبر...
كانوا جميعًا ينشدون أناشيد الخلاص والولاء،
ويرتلون تراتيل الشكر والوفاء،

بأفواههم التي كانت مطبقة،

وبألسنتهم التي قيدها الموت.

✞ كالمطر الذي يحيي الأرض الجرداء.

أحيى الرب بماء الحياة أبناء الفناء.

حواء الخجلة الوجه الباكية،

عادت إليها سمات الأم الوفية الحانية.

✞ جاء المخلص وانتهت المأساة،

وفتحت أبواب الحنان للمؤمنين الصالحين،

بفضل رب الجنة والتكوين.

وأخذ داود قيثارة ينشد مزاميره وأشعاره،

يقول: جاء الحي إلى الأموات ليعيد لهم الحياة،

سبحوا الرب يا سكان الأرض.

سبحوا الرب على المعجزة، فالحرّ يحل بين الأموات"[31].

مار يعقوب السروجي

خرج من المر حلوٌ

✞ دخل القبر كالمساكين،

وخرج منه بعظمة رب الملوك والسلاطين.

خرج من المر حلوٌ كما هو مكتوب.

فالموت مرٌ والمسيح حلو لمن يتذوقونه،

فقد أصبح مأكلاً لكل الشعوب"[32].

مار يعقوب السروجي

✞ لقد اختفى جذر الصليب المر، وظهرت الثمرة "زهرة الحياة" بمعنى أن الذي مات قد قام في مجد، لهذا يضيف (الملاك في البشارة بالقيامة) قائلاً "ليس هو ههنا لأنه

[31] مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب أسقف سروج، ١٩٩٣، ص٢٢٦-٢٢٨.

[32] مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب أسقف سروج، ١٩٩٣، ص٢٢٩-٢٣٠.

قام" (مت٢٨:٦).

✠ في الفترة ما بين ظلام الليل وضياء النهار، ظهر خلاص الجنس البشري (بالقيامة) كالشمس، لذا يجب أن تنتشر بركات هذا الخلاص، وذلك كما تنشر الشمس قبل بزوغها شفق (أنوار) الفجر حتى يمكن للعيون المعدة بنعمة هذا الشروق أن ترى، عندما تظهر ساعة قيامة الرب. لذلك فإنه يجب على الكنيسة كلها أن تتهلل مسبحة السيد المسيح، على مثال النسوة القديسات حينما تحقق قيامة الرب، هذا الذي أيقظ البشرية من النوم، إذ أعطاهم الحياة وملأهم بنور الإيمان.

القديس إيرونيموس

✠ "ها هو يسبقكم إلى الجليل. هناك ترونه" (مت ٢٨:٧)، لأن "الجليل" تعني "العبور passing-over"، فقد عبر مخلصنا من الموت إلى الحياة، ومن آلامه إلى قيامته.

فإن كنا الآن نعبر من أفعال الشر إلى أعالي الحياة الفاضلة، يمكننا بعد ذلك أن نرى بفرح مجد قيامته. لأن ذاك الذي خرج من القبر يرونه في ذلك "العبور" (الجليل)...

القديس غريغوريوس (صانع العجائب)

✠ ليتنا لا نحتفل بالعيد بطريقة أرضية، **بل كمن يحفظ عيدًا في السماء مع الملائكة.**

لنمجد الله بحياة العفة والبر والفضائل الأخرى!

لنفرح لا في أنفسنا بل في الرب، فنكون مع القديسين!

لنسهر مع داود الذي قام سبع مرات، وفي نصف الليل كان يقدم الشكر على أحكام الله العادلة!

لنبكر كقول المرتل: "يا رب بالغداة تسمع صوتي، بالغداة أقف أمامك وتراني!" مز٥:٣. لنصم مثل دانيال!

لنصلي بلا انقطاع كأمر بولس. فكلنا نعرف موعد الصلاة، خاصة المتزوجين زواجًا مكرمًا!

فإذ نحمل شهادة بهذه الأمور، حافظين العيد بهذه الكيفية، نستطيع أن ندخل إلى فرح المسيح في ملكوت السموات.

وكما أن إسرائيل (في العهد القديم) عندما صعد إلى أورشليم تنقى في البرية، متدربًا على نسيان العادات (الوثنية) المصرية، هكذا فإن الكلمة وضع لنا هذا الصوم المقدس الذي للأربعين يومًا، فنتنقى ونتحرر من الدنس، حتى عندما نرحل من هنا يمكننا بكوننا قد حرصنا على الصوم (هكذا) أن نصعد إلى جمال الرب العالي، ونتعشى معه؛ ونكون شركاء في الفرح السماوي.

فإنه لا يمكنك أن تصعد إلى أورشليم (السماء) وتأكل الفصح دون أن تحفظ صوم الأربعين.

البابا أثناسيوس الرسولي

✞ لقد مسحني السرّ الإلهي... وإنني اتحد بالسر، الذي يحضرني إلى هذا اليوم العظيم المشرق، واهبًا عونًا لضعفي، فيعطني ذاك الذي قام من الأموات في مثل هذا اليوم – حياة لنفسي أيضًا، ويلبسني الإنسان الجديد أف٤:٢٣، ٢٤)، ويجعلن من الخليقة الجديدة هؤلاء الذين ولدوا من الله... فأكون مستعدًا أن أموت معه وأقوم أيضًا معه...

بالأمس (أول أمس)[٣٣] ذبح الحمل، ورشت القوائم بدمه... وعبر الملاك المهلك بسيفه المهلك مرتعبًا وخائفًا... لأننا محفوظون بالدم الثمين...

بالأمس قد صلبت مع المسيح، واليوم أنا ممجد معه!

بالأمس مت معه، واليوم وهبت حياة معه!

بالأمس دفنت معه، واليوم أقوم معه!

فليتنا نأتي بتقدماتنا إلى ذاك الذي تألم عنا وقام. لكن ربما تظنون إني أقصد بالتقدمات ذهبًا أو فضة أو حجارة كريمة نادرة، هذه التي هي ظل المادة على الأرض وباقية فيها، تلك التي يمتلكها بالأكثر الخطاة وأرقاء الأرضيات وعبيد هذا العالم. حاشا! إنما لنقدم له أنفسنا، التي هي في نظر الله أثمن من كل شئ...

لنعرف ما هو عملنا ؟! لنعطِ الكرامة للذي خلقنا على صورته، متأملين هذا السر حتى نعرف لماذا مات المسيح!

---

[٣٣] كان الحديث في ليلة عيد القيامة، أي يوم السبت ليلاً، فيقصد بالأمس أي الجمعة العظيمة. أما إذا اعتبرنا حديثه عن العيد (فجر الأحد)، يمكننا أن نقول عن الجمعة العظيمة (أول أمس).

لنصر مثل المسيح كما صار هو مثلنا.

لنكن (شركاء الطبيعة الإلهية)، إذ صار هو إنسانًا لأجلنا!

هو اتضع، لكي يهبنا أن نرتفع!

افتقر، لكي نستغني نحن بفقره (٢كو٨:٩)!

أخذ صورة عبد (في٢:٧) حتى يحررنا من العبودية (رو٨:٢١)!

نزل إلينا لكي يرفعنا إليه!

صار مجربًا لكي نتعلم كيف ننتصر!

احتقر لكي ننال كرامة!

مات لكي ينقذنا من الموت!

صعد إلى السماء لكي نصعد نحن الغارقون في الخطية إليه!

إذًا ليعطه كل منكم كل شئ، كما وهبنا نفسه ثمنًا لخلاصنا !

إن من استطاع أن يتفهم هذا السر العظيم في المسيح وما صنعه لأجلنا ولم يعط المسيح نفسه فهو لم يعطه شيئًا!

القديس غريغوريوس النزينزي

✠ ✠ ✠

✠ خلقتني لأوجد في الفردوس أبديًا!

وهبتني شبعًا وكرامة وفرحًا!

لكنني قطفت بيدي ثمرة العصيان،

فانفصلت نفسي عنك،

وأعطيتك القفا لا الوجه!

✠ بإرادتي سلبت نفسي وجسدي حياتهما،

ودبّ الموت فيهما،

من يقدر أن يقيمني غيرك؟

✠ خلقتني من العدم،

وها أنت تقيمني بآلام حبك!

تفديني بالحب العملي،

وترد لي الحياة أفضل مما قدمتها لأبوي!

شكرًا لك يا مخلص النفوس والأجساد!

موت المسيح موتًا منفردًا

نيابة عن موتنا المزدوج[٣٤]

للقديس أغسطينوس

مفهوم الموت عند القديس أغسطينوس*[٣٥]

موت الجسد مختلف عن موت النفس فموت الجسد يتحقق بسبب فساده وفقدانه الحياة؛ أما موت النفس فيتحقق بفقدانها لله "الحياة" وكما أن النفس برحيلها تسحب الحياة مكن الجسد، هكذا قد ينزع الله الحياة عن النفس. بالنسبة لآدم فقد خُلق ليحيا خالدًا، وجاء موته ثمرة خطيته. أما الإنسان فصار قابلاً للموت نتيجة لخطية آدم.

موتنا روحيا وجسديًا

إننا بالتأكيد أموات بالنفس والجسد، الأمر الذي لا يشك فيه أي إنسان مسيحي. نحن **موتى بالجسد** (سيموت جسدنا) بسبب عقوبة الخطية. في كلا الجانبين، نحن في حاجة إلى علاج وإلى قيامة، حتى نتغير إلى حالٍ أفضل مما قد انحدرنا إليه...

موت النفس هو الشر، **وموت الجسد** هو الفساد الذي يتم بسبب انفصال النفس عن الجسد. فكما أن النفس تموت بسبب ترك الله لها، هكذا يموت الجسد بسبب انفصال النفس عنه...

تقوم النفس من موتها بالتوبة. وأما الجسد فيبدأ تجديد الحياة فيه – بالرغم من بقائه قابلاً للموت – بالإيمان الذي به يتبرر الخطاة. ويزداد تجديد الحياة فيه، ويتقوى، بممارسة العادات الصالحة يومًا فيومًا، إذ يتجدد الإنسان الداخلي أكثر فأكثر (٢كو ٤:١٦).

أما عن الجسد – أي الإنسان الخارجي – فإنه يفسد يومًا فيومًا ببقائه في هذه

---

[٣٤] التبويب والعناوين من وضع المترجم.

هذا المقال مأخوذ عن كتابه الرابع من كتب "الثالوث القدوس".

[٣٥] مقدمة للمترجم.

الحياة، وذلك بعامل السن أو المرض أو الأحزان المختلفة، حتى يحل الزمان الأخير الذي يدعوه الجميع "الموت".

أما قيامة الجسد، فإنها تتأخر إلى نهاية الأزمنة، حيث يتم تبريرنا بطريقة لا ينطق بها، عندئذ نصير على مثال (السيد المسيح) إذ نراه كما هو...

وما الحاجة إلى الإشارة إلى براهين أخرى للتمييز بين موت النفس وموت الجسد، وقد ميز الرب بينهما تمييزًا قاطعًا في عبارة واحدة وردت في الإنجيل، إذ يقول: "دع الموتى يدفنون موتاهم" مت٨:٢٢. فالدفن يتناسب مع الجسد الميت، وأما الذين يدفنونه فهم موتى النفس، وموتهم هذا نابع عن شر عدم إيمانهم. أمثال هؤلاء يدعوهم الرسول للاستيقاظ قائلاً: "استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضئ لك المسيح" (أف٥:١٤).

وقد أعلن الرسول عن موت النفس هذا بقوله عن الأرملة: "وأما المتنعمة فقد ماتت وهي حية" (اتى٥:٦). ويُقال عن النفس التي كانت قبلاً شريرة، والآن أصبحت صالحة أنها حية، إذ عادت إليها الحياة بعد الموت بفعل برّ الإيمان.

أما الجسد فلا يُقال عنه أنه مات فقط عند مفارقة النفس له، بل ويحسب أيضًا ميتًا بفعل الضعف الشديد الذي للحم والدم... إذ يقول الرسول "الجسد ميت بسبب الخطية، وأما الروح فحياة بسبب البر" (رو٨:١٠). والحياة هو من صنيع الإيمان: "وأما البار فبالإيمان يحيا" (رو١:١٧).

ولكن ماذا جاء بعد النص السابق (رو٨:١٠)؟ "وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكنًا فيكم فالذي أقام المسيح سيحيي أجسادكم المائتة أيضًا بروحه الساكن فيكم" (رو٨:١١).

عمل موت المسيح وقيامته فينا

وهبنا ربنا موته المفرد (أي موت جسده دون أن تموت نفسه، لأن لاهوته لم يفارق جسده ولا نفسه... إنما فارقت النفس الجسد فصار الجسد ميتًا). هذا حدث مقابل موتنا نحن المزدوج، حتى يهبنا قيامة مزدوجة...

فالرب لم يخطئ قط، ولا كان شريرًا، أي لم يمت بالروح حتى يحتاج إلى تجديد الإنسان الداخلي، مستدعيًا حياة البرّ بالتوبة. إنما إذ التحف بجسد قابل للموت، فإنه مات بالجسد وحده (دون أن يموت موتًا روحيًا)، وبه أيضًا قام وبقيامته المنفردة[٣٦] وهبنا قيامتنا المزدوجة (أي قيامة نفوسنا من موتها، وقيامة أجسادنا من موتها)، إذ بقيامته:

(أ) صنع فيها سرًا بخصوص إنساننا الداخلي.

(ب) صنع بها مثالاً بخصوص إنساننا الخارجي.

(أ) موت المسيح وقيامته وعلاقتهما السرية بإنساننا الداخلي:

١- من جهة موته، كان فيه "سرًا" بخصوص إنساننا الداخلي...

لقد كنا أمواتًا بالنفس حتى قيل لا في المزمور فحسب، بل وعلى الصليب (نيابة عنا) "إلهي إلهي لماذا تركتني" (مز ٢٢: ١، مت٢٧: ٤٦). هذه الكلمات التي تتفق مع قول الرسول: "عالمين أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليبطل جسد الخطية، كي لا نعود نستعبد للخطية" (رو ٦: ٦). وصلب الإنسان العتيق يعني آلام التوبة وضبط النفس ...هكذا يتهدم جسد الخطية على الصليب، فلا نعود بعد نستخدم أعضاءنا آلات إثم للخطية.

فإن كان الإنسان الداخلي يتجدد يومًا فيومًا (٢كو ٤: ١٦)، إلا أنه كان بلا شك عتيقًا قبل أن يتجدد! هذا هو ما حدث في الداخل، إذ كما يقول الرسول: "أن تخلعوا ...الإنسان العتيق... وتلبسوا الإنسان الجديد" (أف ٤: ٢٢، ٢٤). ثم عاد يشرح قوله هذا مردفًا: "لذلك اطرحوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه" (أف ٤: ٢٥).

٢- أما عن قيامة جسد الرب، فهي أيضًا تخص "سريًا" قيامة إنساننا الداخلي، إذ يقول للمرأة بعد قيامته: "لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي" (يو ٢٠: ١٧) (أي أنه لا يريد التلامس الجسدي الخارجي، إنما يطلب تلامسًا روحيًا

---

[٣٦] يتحدث القديس أغسطينوس عن قيامة المسيح المنفردة، لأن جسده الميت قام أما نفسه فلم تمت قط، لأنه ليس فيه شر، لذلك لم تكن محتاجة إلى مصالحة أو قيامة. إنما ما حدث في القيامة هو أن نفسه الحية عادت إلى جسده الذي مات بانفصال النفس عنه، وصارت له قيامة مفردة، أما نحن فنحتاج إلى قيامة للنفس الميتة وقيامة الجسد.

داخليًا مع إنساننا الداخلي). فعدم لمس السيد المسيح إلى أن يصعد إلى الآب، يعني أنـه يلزم ألا تكون لنا أفكار المسيح بطريقة جسدية. هذا السرّ يتفق مـع كلمـات الرسول القائل "فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين اللـه. اهتموا بما فوق" (كو٣: ١، ٢).

(ب) موت المسيح وقيامته مثالاً لإنساننا الخارجي:

١- مرة أخرى فإن **موت جسد الرب** يحوي مثـالاً لموت إنساننا الخـارجي، باحتماله الكثير مما أعلنه السيد لتلاميذه أن يحتملوه بغير خوف ممن يقتلون الجسد دون أن يكون لهم القدرة على قتل النفس (مت١٠: ٢٨). لهذا يقول الرسول: "أكمل نقائص شدائد المسيح في جسمي" (كو١: ٢٤).

٢- **وقيامة جسد الرب** تحوي مثالاً لقيامة إنساننا الخارجي، إذ يقول لتلاميذه "جسّوني وانظروا؛ فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي" (لو٢٤: ٣٩). وإذ لمس واحد من تلاميذه آثار جروحه أعلن قائلاً: "ربي وإلهي!" (يو٢٠: ٢٨). لقد كانت سلامة جسده ظاهرة، وهذا يظهر من قوله لتلاميذه: "ولكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك" (لو٢١: ١٨).

كيف نفسر هذا أنه قال: "لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي" ومع ذلك سمح لتلاميذه قبل صعوده أن يلمسوه فعلاً؟! إنه برفضه اللمس أعلن عن سرّ قيامة الإنسان الداخلي بالنسبة لنا، وبقبوله اللمس أظهر مثالاً لقيامة إنساننا الخارجي.

فما حدث مع الرب كان مثالاً، لما تكون عليه أجسادنا في القيامة، المقبلة، إذ يقول الرسول: "المسيح باكورة، ثم الذين للمسيح في مجيئه" ١(كو١٥: ٢٣). ويقول في موضع آخر: "الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده" (في٣: ٢١).

إذًا لقد قدم مخلصنا موته المفرد لأجل خلاصنا من موتنا المزدوج. وقدم مخلصنا قيامته المفردة لأجل قيامتنا المزدوجة. **هذا ما صنعه علاجًا مناسبًا، من جانب سري يخص إنساننا الداخلي، وكمثال يخص إنساننا الخارجي.**

القديس أغسطينوس

الموت وقيامة الرب

قيامة السيد المسيح والصليب

كل نفس تتعرف على الصليب تنحني أمامه بخشوع ومهابة، لترفع نظرها بانسحاق نحو المصلوب، ولا تريد أن تفارقه، أو ترخي عينيها عنه، وتود ألا يوجد في الحياة إنسان أو شئ ما يشغلها عنه. تتطلع في الصليب فترى أبوة باذلة، وحبًا صادقًا، وحنانًا إلهيًا غير منطوق بـه، وغفرانًا للخطايا، **ونصرة على قوات الشر، وهلاكًا لسلطان الموت، وشركة سرية عميقة مع السمائيين، واتحادًا مع الله!**

لو كان قد أسدل ستار حياة ربنا يسوع عند حد موته على الصليب، أو دفنه في القبر... (وهذا غير ممكن لأن فيه قوة القيامة والحياة لا يمكن للفساد أن يمسك به)، لانتهت رسالته بالفشل، وكان الصليب عاجزًا عن أن يعلن حب الله للبشر حبًا قويًا عاملاً، قادرًا على غفران الخطايا والإقامة من الأموات. ولأصبحت حياة ربنا يسوع على الأرض مجرد قصة إنسانية، يسجلها التاريخ، ويحب الإنسان أن ينصت إليها مرة ومرات، ولكن إلى حين. وبهذا يكون الصليب مجرد محاولة للتكفير عن الخطايا.. انتهت بحياة من أراد أن يخلص الآخرين.بهذا يكون الصليب عارًا وخزيًا، يحاول التلاميذ إخفاء ملامحه، أو أن يذكروه بالبكاء والنحيب، راثين لحاله من أجل ظلم الشرار، باكين على يسوع المسكين!

لكن الحق إنه وإن كانت القيامة تلت الصلب من جهة الحدوث الزمني، لكن الصلب يرافقه القيامة. فالصلب والقيامة أمران متلازمان غير منفصلين عن بعضهما. ففي وقت الصلب، لم تفارق الرب قوة القيامة، وإلا كـان في عار وخزي، إنما الذي على الصليب هو هو بنفسه "القيامة" و"الحياة"، ليس محتاجًا إلى قوة خارجة عنه لإقامته أو إعطائه الحياة.

فالقيامة كانت حاضرة فيه حتى في لحظات الصلب والموت، لكنها كانت تنتظر مشيئة الآب. لأن الابن مات لا عن نفسه ولا عن ضرورة طبيعية بسبب مرض أو شيخوخة، لكن مات في قوة من أجل أحبائه طاعة للآب، لهذا فهو يقوم بقوته الشخصية وسلطانه، عندما يشاء الآب. ولذا لا نعجب إن سمعنا أن "الله أقامه"...

قيامته فتحت صفحة جديدة لحياتنا. **صارت لنا القيامة نصيبنا الأبدي وخبرة نعيشها في الرب كل يوم، سرّ فرح وبهجة مع نصرة حتى على الموت!**

بالقيامة يرى المؤمنون، وقد صاروا أشبه بالسمائيين، الخلاص علانية. انكشف لهم الصليب لا كأحداث تاريخية وإنما كعمل إلهي لخلاصنا الأبدي.

بالقيامة رأى المؤمنون النبوات تتحقق علانية ليقولوا مع تلميذي عمواس: "ألم يكن قلبنا ملتهبًا فينا إذ كان يكلمنا في الطريق ويوضح لنا الكتب؟!" لو ٢٤: ٣٢.

بالقيامة صار الخلاص علانية إذ أعلن ذاته فينا قادرًا على الإقامة من الأموات، واهبًا إيانا شركة الميراث الأبدي.

بالقيامة أعلنت وليمة الفصح، أنها لا تستهلك، بل قتل الموت بموته المحيي. لقد حوّل عالمنا من أرض الأموات إلى أرض الأحياء! من حالة العداوة له إلى موضوع سروره. لتنفتح أيضًا أبواب قلوبنا أمام مخلصنا القائم من الأموات، فيقيم مملكته فينا، ويفتح لنا الأبواب الدهرية فننعم بالشركة مع السمائيين أبديًا...

✞ لقد انتصرت على الموت لما ضمك بين جوانبه،

وفي موتك استأصلت الهاوية الحصينة.

أطلّ صوتك من بين الآلام بقوة،

فألقى رهبة في قوات الظلام الكثيرة.

إستأصلت بقيامتك الحصن المنيع المأهول بسكانه،

وأخرجت منه الأسرى الذين ابتلعهم الظلام.

✞ الملك القتيل قام بقوة من القبر،

فتهاوى الفناء، ولم يقف أمامه عندما أفاق من سباته.

الجبار القوي أخذته سنة النوم على الصليب واستسلم للموت.

واستيقظ وقيّده في الهاوية ثم غادر المكان.

في اليوم الثالث ذهب عنه سبات النوم وقام بمجدٍ عظيمٍ.

✞ ارتفع على الصليب لينقذ الموتى من مراقدهم...

مات حقًا ليظهر أن قيامته كانت حقيقية.
قام ليثبت أنه إله، ولينقذ الموتى من مراقدهم.
بقوته قام ليعرف العالم أنه مصدر القوة ومانح الحياة[٣٧].

مار يعقوب السروجي

أخروية كاملة تعطي للتاريخ معناه

ظن كثيرون أن حياتهم تنتهي بموتهم، مثلهم مثل الحيوانات، لكن تجسد الكلمة الإلهي وحلوله في وسطنا كواحدٍ منا كشف لنا غاية طريقنا البشري. إذ لم تقف حياته عند القبر، بل قام وصعد إلى السموات، معطيًا لتاريخ كل واحدٍ منا معناه.

تطلع إشعياء النبي إلى كلمة الله المتجسد، فرآه يدخل التاريخ، إذ "أحصي مع أثمة" (إش٥٣: ١٢، مر١٥: ٢٨). صار إنسانًا كاملاً بمعنى الكلمة، إذ قبل الناسوت كاملاً، ودخل في تاريخنا. وإذ مات وقام قدم لنا نفسه "باكورة الراقدين" (١كو١٥: ٢٠). فإن كانت البشرية منذ سقوطها تترقب "قيامة الأموات"، **فقد جاءت قيامة المسيح كاستباق لاكتمال التاريخ والدخول إلى الأخروية**. وكأن السيد المسيح قد حمل البشرية المؤمنة في جسده، وعبر بهم الزمن، ودخل بهم إلى **"ما وراء الزمن"**. لقد كشفت الأخيرية أو الأخروية عن ذاتها في موت المسيح وقيامته وصعوده إلى السماء[٣٨]. هكذا دخل ميلاد المسيح وموته وقيامته وصعوده التاريخ، لكي يحمل التاريخ إلى "ما وراء التاريخ"، فلا يتخطاه أي حدث لاحق. وصار هذا الحدث **استباق الأخروية وكشف عنها**.

ميلاد المسيح وموته وقيامته وما تبعها كالصعود ومجيئه الأخير هي حدث واحد متكامل حوّل المؤمنين إلى موكب تحت قيادة روحه القدوس يسير نحو مستقبل نهاية الأزمنة المفتوح، وفي نفس الوقت أعطى للتاريخ الخاص معناه. فالسيد المسيح هو الوحيد بين البشر الذي تجلّت فيه قيامة الجسد مع نفسه التي لم تمت، فتجلى فيه معنى تاريخه البشري (أعطى معنى للهدف من تاريخه البشري). وتحقق

[٣٧] مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب أسقف سروج، ١٩٩٣، ص٢٣٧،٢٣٨.

[38] *A Schilson et W. Kasper: Théologiens de Christ aujourd'hui, coll "Jésus et Jésus - Christ," No.9, Desclée de Brouwer, Paris, 1978, pp. 116-117.*

البشر من مصيرهم الأبدي، ومعنى نهاية قيامتهم.

ما جرى للسيد المسيح هو ختم على صدق الوعود الإلهية لما يحدث لنا عبر التاريخ وما وراءه، خلاله نشاهد تحقيق الوعود الإلهية لنا في كمال صورتها، نرى وجودنا الشخصي والجماعي، فنرى الموت ليس نهاية الحياة، بل له وجه آخر هو "**مزيد من الكيان**" مُبتلع في مجد الله، وتحقيق لشوق الله نحو الإنسان في بدء خلقته[73].

في ربنا يسوع المسيح تدخل البشرية إلى الأخيرية، إلى مجد اللـه، فنقول مع الرسول بولس: "**أحيانا مع المسيح، وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويات**" (أف٢:٥-٦). وفي نفس الوقت ستكشف الحياة الأخروية عن كمال مجد السيد المسيح، الذي نشاركه مجد ميراثه.

في المسيح يسوع لم تعد لغة "**ما وراء الموت**" تعني الحدس والفلسفة النظرية ولا تُقدم بتعبيرات غامضة، بل بلغة واقع تجريبي مُعاش.

✞ ✞ ✞

✞ أتيت إلى عالمي وسرت معي في طريقي.

دخلت إلى القبر وقمت بكرًا للراقدين.

فيك أرى قيامتي،

باتحادي بك أدرك مجدي!

أنت هو قيامتي وحياتي الأبدية!

✞ صرت لي كتابًا مفتوحًا عن الأخرويات،

لم تسجله بحروف لغة بشرية،

بل بحياتك المبذولة وقيامتك القديرة!

أقرأ في قيامتك سرّ السماء،

وتطمئن نفسي.

✞ ✞ ✞

[73] الأب أوغسطين دوبره لاتور: دراسة في الإسكاتولوجيا، لبنان، ١٩٩٤، ص. ١٥، ١٦.

لماذا لم يبطل موت الجسد في هذا العالم؟

قد يسأل أحدهم: لماذا لم يبطل الرب موت الجسد عن مؤمنيه هنا، فلا يعمل الموت فيهم بعدما قاموا من الموت بموت الرب وقيامته، فيعيشوا إلى الأبد دون أن تنفصل نفوسهم عن أجسادهم؟

أولاً: لكي لا يرتبط قلبنا بالأرض

الإنسان منذ سقوطه أُغلق عليه في الجسد، صارت نظرته جسدية، وأفكاره محصورة في الأرضيات، وقلبه لا يقدر أن يرتفع عن الملموسات والمرئيات. لهذا لم يسمح الله لنا أن نبقى هنا في الجسد إلى الأبد، لئلا تتركز أنظارنا في الأرضيات ولا يرتفع رجاؤنا إلى الأبديات، فإنه "إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فإننا أشقى جميع الناس" (١كو١٥:٩). لو كان الأمر هكذا – أن نبقى إلى الأبد في هذا العالم – لارتبط إيماننا بالأرضيات وأحببنا عطايا الله وبركاته أكثر منه، وهذه أنانية وليست عبادة وحب وعشق بين الله والإنسان. فالله في محبته ارتفع إلى السماء حتى تشخص أنظارنا إلى فوق، وتنتظر اللقاء مع الله شخصيًا من أجل الله ذاته وبه وفيه، ويكون هو الكل في الكل.

لقد أعلن لنا الرب، أنه ينبغي لنا أن نسلك في هذا العالم كغرباء ونزلاء منتظرين بفرح داخلي وبهجة داخلية العتق من هذا الجسد. لم يعدنا بالبقاء الدائم على الأرض، بل وعدنا أن نحمل معه الصليب ونموت.

فأولاد الله الذين عرفوا الرب وتمتعوا بالعشرة معه، يفرحون بالآلام والأتعاب والأمراض بل وبالموت الجسدي، ليس لأنهم لا يحسون، لكن لأن أحاسيسهم انطلقت إلى السماء. فكلما كثرت الآلام والأمراض أحسوا بقرب انطلاق النفس، لذلك يترنمون مع الرسول قائلين: "عالمين أن الذي أقام يسوع سيقيمنا نحن أيضًا بيسوع ... لذلك لا نفشل بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يومًا فيومًا. لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجدٍ أبديٍ. ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى بل التي لا تُرى، لأن التي ترى وقتية أما التي لا ترى فأبدية" (٢كو٤:١٣–

.(١٨

كلما تزايدت الأثقال وأحسسنا بموت الجسد يعمل فينا ابتهجت نفوسنا بانطلاقها، وتجدد إنساننا الداخلي يومًا فيوم. كلما ضعف الجسد لا ييأس الإنسان ولا يتراخى، بل بالعكس يُسر ويفرح من أجل قرب انطلاقه، قائلاً مع الرسول: لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح' (في١:٢٣).

لقد رأى سمعان الشيخ أنه قد طال زمن بقائه في الجسد، بوعد أخذه أن يعاين المخلص المولود من العذراء[٢٠]. فما أن رأى المخلص وحمله على ذراعيه، حتى صرخت نفسه فيه إلى الرب: "الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام، لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته قدام وجه جميع الشعوب" (لو٢:٢٩،٣٠).

هذا لا يعني الإهمال والاستهتار بالجسد، لأنه عطية من اللّه، وهو عطية صالحة، بدونها لا نعرف كيف نتعبد للّه في هذا العالم؟! حقًا يلزمنا أن نسجد للّه بالروح والحق، إذ هو روح، لكن هل تستطيع النفس أن تتعبد للّه والجسد في وادٍ آخر؟! بدون الجسد لا يستطيع الإنسان - في العالم - أن يتعبد للّه بالروح، فالجسد عطية من يد اللّه، يعين النفس في العبادة متى خضع لها وسلك حسب إرشاد الروح القدس، لكن عندما يتثاقل بالألم أو المرض لا نحزن، إنما نتغنى قائلين: "أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف' (مت٢٦:٤١).

✞ يضطرب البعض بسبب مشاركتنا الوثنيين في الخضوع للمرض. وكأن المسيحي قد آمن لكي يتمتع بالعالم ولا يخضع للأمراض في هذه الحياة، وليس كإنسان يلزمه أن يحتمل الآلام ويُحفظ هنا لكي يتمتع بالفرح المقبل...

ومما يقلق البعض أيضًا، خضوعنا للموت كالآخرين، قائلين: لماذا إذا لا نشترك معهم في هذا العالم، ما دام لا يزال جسدنا خاضعًا للناموس الذي علينا حسب الميلاد الأول (الجسدي)، مشتركين في ذلك مع الآخرين؟!

إننا نشترك مع البشرية بالتساوي فيما يختص بالجسد، طالما نحن في هذا

---

[٢٠] حدث ذلك أثناء ترجمته لسفر إشعياء (في الترجمة السبعينية)، حيث حاول أن يترجم "هوذا العذراء تحبل" ب"الفتاة" لكن الرب منعه ووعده أن يرى ذلك بعينيه.

العالم، مميزين عنهم (غير المؤمنين) في الروح. إلى أن يأخذ هذا الفاسد عدم فساد، وهذا المائت عدم موت، ويقودنا الروح القدس إلي الآب، نشترك عامة مع البشرية. فإن حلّ بالأرض قحط، لا يُميز القحط بين مؤمن وغير مؤمن. وإن حدث غزو من الأعداء علي مدينة فإن السبي يشمل الجميع. وإذا امتنعت الأمطار عمّ القحط بالجميع. وإذا تحطمت سفينة هلك كل المبحرين فيها، وهكذا يعاني الجميع من أمراض العيون والحمى وأمراض الأطراف"[41].

الشهيد كبريانوس

ثانيًا: لكي تظهر الحرية في اختيارنا للإيمان

✠ لو كان جسد الإنسان غير قابل للموت وغير مائل للفساد، لكان أهل العالم كله عندما يرون هذا الأمر الفائق الظن، أي أن أجساد المسيحيين لا تفسد، **عندئذ ينجذبون إلى فعل ما هو خير بالضرورة لا باختيار منهم، ولكن المراد أن تظهر الحرية التي منحها الله للإنسان منذ البدء ...وتظل ثابتة.**

لهذا السبب نظمت الأمور بتدبير مخصوص وتقرر انحلال الجسد، لكي يميل الإنسان إلى الخير أو الشر بإرادة منه.

القديس مقاريوس الكبير

ثالثًا: لكي لا نهتم بموت الجسد بل بموت الروح

✠ قال الرب عن يوحنا البشير: "إن كنت أريد أن يبقى حتى أجيء" (يو ٢١: ٢٢).

نحن لا نعتقد أن المقصود هنا يوحنا وحده، بل هي دعوة موجهة عامة لكثيرين. فالرب لم يستبعد موت الجسد بل موت الروح. لأنه يوجد أموات يعيشون، ويوجد أحياء قد ماتوا! مثال ذلك تلك المرأة المتنعمة التي قد ماتت وهي حية (اتى٥: ٦). وكما هو مكتوب: "ليباغتهم الموت لينحدروا إلى الهاوية أحياء" (مز٥٥: ١٥). فإنه يوجد من ينزلوا الهاوية أحياء، إذ بالخطية ينزلون إلى الهاوية ويقيمون في مكان الموت.

بالأحرى أحياء هم أولئك الذين لم تنته حياتهم عند موت الجسد، مثل إبراهيم

---

[41] *Treatise 7 On the Mortality, 8.*

وإسحق ويعقوب، الذين نعرف أنهم أحياء بحسب سلطان الكلمة الإلهية، إذ أن الله: "إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب، ليس إله أموات بل إله أحياء" (مت٢٢:٣٢).

القديس أمبروسيوس

✠ إن كنا نريد ألا نهاب الموت، فلنقف حيث المسيح، حتى يقول عنا: "حقًا أقول لكم أن من القيام ههنا قوم لا يذوقون الموت" (لو٩:٢٧)...

لا يكفي أن تكون موجودًا... إنما الذين يذوقون الموت، هم الذين يقفون مع المسيح.

فإن الذين بلغوا حقيقة إلى الشركة مع المسيح لن يعرفوا الموت. سيذوقون موت الجسد بلا شك، ويتعرضون له، لكن تبقى حياة الروح.

✠ ينبغي علينا ألا نصم آذاننا بل أن نفتحها حتى نسمع صوت يسوع. فمن يسمع هذا الصوت لن يخشى الموت... لأن قلبه يحب أن يُربط بخشبة الصليب برباطات روحية حتى لا يتزعزع باللذة، ولا يترك مجرى الطبيعة تصب في هوة اللذة.

القديس أمبروسيوس

رابعًا: ربنا يسوع لم يغشنا

✠ من يحارب (روحيًا) من أجل الله، يلزمه أن يعرف أنه قد وُضع في معسكرٍ قاسٍ، على رجاء نوال جزاء سماوي. فلا يرتعب من عواصف العالم وأعاصيره، ولا يهتز منها، لأن الرب سبق أن أنبأنا عن كل ما سيحدث لنا.

لقد سبق فأخبرنا عن حدوث حروب ومجاعات وزلازل وأوبئة في كل مكان. وبحديثه هذا أوصى كنيسته وعلمها وهيأها وشددها لتحتمل كل ما سيأتي.

لقد سبق فأنذرنا بأن الكارثة تتزايد شيئًا فشيئًا في أواخر الزمان، وذلك لكي لا نهتز من مخاطر مميتة غير متوقعة.

انظروا، فإن ما أنبأنا عنه يحدث. وإذ يحدث إنما يتبعه أيضًا ما قد وعدنا به قائلاً: "هكذا أنتم أيضًا متى رأيتم هذه الأشياء صائرة، فاعلموا أن ملكوت الله قريب" (لو٢١:٣١).

هوذا ملكوت الله أيها الاخوة الأعزاء يقترب!

هوذا يأتي مع فناء العالم مكافأة الحياة والتمتع بالخلاص الأبدي والسعادة الدائمة ونوال الفردوس المفقود!

هوذا السماويات أُعدت لتحتل محل الأرضيات، والأمور العظيمة بدلاً من التفاهات، والأبديات عوض الفانيات. فما الداعي إذًا للقلق والجزع؟!

من يرى هذا ويرتعب في حزن، اللهم إلا الذي بلا رجاء ولا إيمان؟! **فيرهب الموت ذاك الذي لا يريد الذهاب مع المسيح، ولا يريد الذهاب مع المسيح ذاك الذي لا يؤمن أنه في طريقه إلى أن يملك مع المسيح إلى الأبد!**

مكتوب أن البار بالإيمان يحيا. فإن كنت بارًا فبالإيمان تحيا، وإن كنت بالحق مؤمنًا بالمسيح، فلماذا لا تحتضن تأكيدات دعوة الرب لك، وتفرح متى تخلصت من الشيطان واقتربت؟![42]

الشهيد كبريانوس

خامسًا: لإعادة تشكيله من جديد بلا خطية

للقديس غريغوريوس أسقف نيصص رأي خاص بأن الموت ضروري لكي يقود الجسد فيتشكل من جديد كأصله القديم دون أن يمتزج بالخطية التي ارتبطت به أثناء حياتنا على الأرض.

يشبه جسد الإنسان بإناء خزفي تسلل السم في مادته لذا يحتاج إلى إعادة عجنه ونزع كل أثر للسم منه، وترجع ذات المادة من جديد للتشكل بدون السم الذي تسلل إليها. هذا كله من قبيل محبة الله الفائقة للإنسان هنا في العالم بدم السيد المسيح، يتقدس بكامله؛ لكن يبقى صراع الجسد مع الخطية قائمًا، لذا فنحن في حاجة إلى إعادة تشكيله تمامًا لتحمله من جديد في استحقاقات الدم الثمين.

سادسًا: غيَّر مفهوم الموت

إذ قبِل مسيحنا الموت بإرادته لأجل خلاص العالم، غيّر مفهوم الموت، فلم يعد عقوبة يرتعب أمامها المؤمن، وإنما صار علاقة حب يشتهيها المؤمن. يقبل الموت من أجل الله ومن أجل خلاص اخوته وبنيان نفسه، فيمارسه كل يوم كشركة مع

---

[42] *Treatise 7 On the Mortality, 2.*

المسيح المصلوب، وعربون حيٌ للأبدية.

الراهب كمسيحي حقيقي يحيا **"كمن هو في كل يوم على حافة الموت" كقول القديس يوحنا كاسيان**[43]؛ ليس في خوفٍ ورعب بل بروح الرجاء وترقب الأبدية. يتطلع المؤمن في الممارسة اليومية للموت إلى حياته لا بنظرةٍ سوداوية، بل بعيني الروح، فيرى مع كل نسمة يتمتع بالتجديد الروحي المستمر، حتى يبدو كأن جسده ينتقل من الجسد إلى الروح تدريجيًا، مشتاقًا أن يرى اليوم الأخير، حيث يحمل عوض الجسد الترابي جسدًا روحانيًا (١كو١٥: ٤٤). ينعم مع كل ممارسة للإماتة اليومية ليس في بلادة وجمود بل بمعرفة روحية نامية، حتى ينتقل إلى كمال المعرفة حين يرى الله وجهًا لوجه.

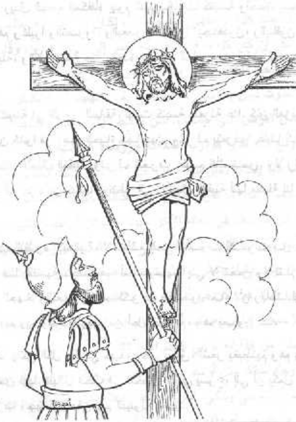

Institut ns, 5:41.

نظرتنا إلي المنتقلين

راحلون وليسوا أمواتًا

حُذفت كلمة الموت من قاموس الكنيسة، فلم تعد تختبره. وليس من بين أعضائها الحقيقيين من هم أموات بل الكل أحياء، لأنها جسد الرب السري الحي، وإذ الرأس حيّ لذلك فإن الأعضاء حية. هي كنيسة واحدة حية، جسد سرى لرأس واحد حيّ، لا تعرف التمزيق، بل يرتبط الكل عبر الأجيال في وحدانية تفوق حدود الزمن. نحن لا نعتقد بكنيستين، كنيسة أحياء وكنيسة أموات، لكنها كنيسة واحدة، كمّل بعض الأعضاء جهادهم فانتقلوا إلى الفردوس علي انتظار أن نكمل نحن العبيد رفاقهم جهادنا فنعبر إليهم، وينال الجميع المكافأة يوم الدينونة. إننا كنيسة واحدة، بعض أعضائها كملوا جهادهم وغلبوا وانتصروا، والبعض لا يزالوا يجاهدون، والباقون سيأتون في الأجيال المقبلة، والكل كنيسة حية واحدة، بغض النظر عن اللقاء الجسدي في هذا العالم.

فالكنيسة في القرون السابقة، ليست كنيسة منعزلة عنا. كان المؤمنون يصلون من أجلنا حين كانوا في هذه الحياة مجاهدين، ولو لم يتعرفوا علينا كأفراد، ونحن نصلي من أجل الأجيال المقبلة ولو لم نتعرف عليهم كأشخاص. ولا زالت الكنيسة الأولي ترى أننا جزء من كيانها، وننظر إلي الأجيال المقبلة أنها مكملة لنا حتى ولو لم تُوجد بعد.

بهذه النظرة الإيمانية، لا نتطلع إلي الأموات كأموات بل كمن ناموا ليستيقظوا. هذا بالنسبة لأجسادهم، أما نفوسهم فهي لا تنعس ولا تنام. استراحت نفوسهم من الجهاد والتعب والألم، لكن لم ينفصلوا عنا، لأن رباطنا ليس بالرباط الجسدي. نحبهم ويحبوننا، نطوبهم من أجل جهادهم، وهم يصلون عنا.

هكذا يلتقي الكل معًا في حب روحي عميق، نشعر بغبطتهم وهم يدركون آلام الحياة التي نحن فيها. نتبادل الحب في شخص الفادي يسوع، إلي أن يكمُل حبنا بلقائنا جميعًا مع الرب وجهًا لوجه في يوم الدينونة المجيد.

هذا ما علمنا به الرب يسوع، أنهم ناموا أحياء، وليسوا أموات انفصلوا عن الكنيسة. وهذا ما أرشدنا إليه الكتاب المقدس، وعلّمتنا إياه الكنيسة، وما أوضحه الآباء. وأننا نذكر علي سبيل المثال بعض الكلمات التي سجّلها **القديس يوحنا الذهبي الفم** لتعزية شابة أرملة عاشت خمس سنوات مع زوجها الشاب الذي كان مرشحًا لمركز والي مقاطعة، معرفًا إياها حقيقة موقف زوجها.

أنه لم يمت بل رحل

✞ إن كان ليس اسم "أرملة" هو الذي يضايقك، إنما فقدانك لمثل هذا الزوج، فإنني أوافقك أن قليلين هم أمثال ذلك الرجل في عالم الرجال، في حبه ونبله واتضاعه وإخلاصه وحكمته وورعه.

حقًا، لو أنه هلك كلية أو انتهي أمره تمامًا، لكان ذلك كارثة عظمى وكان الأمر محزنًا. لكن إن كان كل ما في الأمر أنه **أبحر إلي ميناء هادئ، وقام برحلة إلي الله الذي هو حقًا ملكه،** لهذا يلزمنا ألا نحزن بل نفرح.

فإن هذا الموت ليس بموت، إنما هو نوع من الهجرة والانتقال من سيئ إلي أحسن، من الأرض إلي السماء، من وسط البشر إلي الملائكة ورؤساء الملائكة، بل ومع الله الذي هو رب الملائكة ورؤساء الملائكة.

لأنه عندما كان يخدم الإمبراطور هنا على الأرض كانت تحف به مخاطر الأشرار ومكائدهم. وبقدر ما كان صيته يتزايد، كانت خطط الأعداء (الحاسدين) تلتف حوله، والآن قد انتقل إلي العالم الآخر حيث لا يمكن أن ننتظر شيئًا من هذا.

فبقدر ما تحزنين لأن الله أخذ إنسانًا هكذا كان صالحًا ومكرمًا كان يجب أن تفرحي **أنه رحل إلي مكان أكثر أمانًا وكرامة، متخلصًا من مضايقات الحياة الحاضرة الخطيرة، إذ هو الآن في أمان وهدوء عظيم.**

إن كان لا حاجة لنا أن نعرف أن السماء أفضل من الأرض بكثير، فكيف نندب الذين رحلوا من هذا العالم إلي العالم الآخر؟!

لو كان زوجك سالكًا مثل أولئك الذين يعيشون في حياة مخجلة لا ترضى الله، كان بالأولي لك أن تنوحي وتبكي، ليس فقط عند انتقاله، بل حتى أثناء وجوده حيًا هنا. لكن **بقدر ما هو من أصدقاء الله، يلزمنا أن نسر به**، ليس وهو حي هنا، بل

وعندما يرقد مستريحًا أيضًا.

وإذ يلزمنا أن نفعل هذا، استمعي ما يقوله الرسول الطوباوي: "لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جدًا" (في١: ٢٣)[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

لم ينفصل عنكِ

♱ لكن ربما تشتاقين إلى سماع صوت زوجك، والتمتع بحبه الذي كان يحيطك به، والوجود معه، وتودين المجد الذي تنالينه بوجودك معه، والعظمة والكرامة والضمان وغير ذلك من الأمور التي بحرمانك منها تظلم حياتك وتتكدر.

حسنًا! إن الحب الذي كان يمن به عليك يمكنك أن تحتفظي به معك كما كان سابقًا. لأن **هذا هو قوة الحب أنه لا يحتضن فقط الحاضرين معًا (جسديًا) ويوحدهم ويربطهم والقريبين مكانًا والمرئيين، بل ويحتضن البعيدين عن بعضهم البعض مسافة طويلة. فلا يمكن لا لطول الزمن ولا للبعد المكاني أو لشيء من هذا القبيل أن يكسر محبة الروح أو يبددها.**

إن كنتِ تودين أن تنظرينه وجهًا لوجه، وهذا كما أعلم أنه بغية شوقك، فاحفظي مخدعك في كرامة دون أن يلمسك رجل آخر، وابذلي كل جهدك أن تقتدي به. وعندئذ بالتأكيد سترحلين يومًا ما وتلتقين معه هناك، لا لكي تعيشي معه خمس سنوات كما حدث هنا، ولا عشرين عامًا ولا مائة بل آلاف مضاعفة، لا بل أجيالاً مديدة بلا نهاية. لأنه لا تربطكما بعد علاقة جسدية، بل علاقة تتناسب مع ما تتهيئين به لميراث مكان الراحة[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

اقتدي به

♱ إن كان قد جُلب لعازر الغريب ليكون مع إبراهيم في السماء عينها في حضنه، ويتهيأ كثيرون من المشارق والمغارب للجلوس معه، فكم بالأكثر تنالين أنت مكان

---

[1] *Letter to a Young Widow, 3.*

[2] *Letter to a Young Widow, 3.*

راحة مع ثراسيوس *Therasius* الصالح، إن سلكتي مثله؟! عندئذ تتقبلينه مرة أخرى لا في جمالٍ زائلٍ كان عليه عند الرحيل، بل في مجدٍ من نوعٍ آخر، في بهاء أكثر من أشعة الشمس. لأنه بالرغم مما كان عليه من قسطٍ وافرٍ من الجمال، لكنه جمال زائل. أما أجساد أولئك الذين يسرون الله، فستكون ممجدة حتى أن عيوننا هذه لا تقدر على معاينة مجدهم[3].

القديس يوحنا الذهبي الفم

ستلتقين به ممجدًا

✞ شجعنا الرب بأمثلة معينة وإشارات غامضة في العهدين الجديد والقديم. ففي القديم أضاء وجه موسى بمجد حتى لم يستطع الإسرائيليون أن يتطلعوا إليه، أما في العهد الجديد فإن وجه يسوع أضاء أكثر جدًا عن وجه موسى.

اخبريني: لو أن أحدًا وعدك أن يقيم زوجك ملكًا على المسكونة كلها على أن تتركيه لمدة عشرين عامًا لأجل نفعه، حتى يعيده إليك بالتاج والأرجوان، فتصيرين في مرتبته، أما كنتِ بوداعة تحتملين الانفصال عنه ضابطة نفسكِ؟!

أما كنتِ تفرحين بهذه العطية وتعتبرينها أمرًا يستحق التوسل لنوالها؟!

حسنًا إذن أن تذعني لهذا، لا لأجل ملكوت أرضي بل سماوي، لا لتتقبلينه مكتسيًا حُلّة ذهبية بل ثوبًا أبديًا ممجدًا يتناسب مع الساكنين في السماء[4].

القديس يوحنا الذهبي الفم

[3] *Letter to a Young Widow, 3.*

[4] *Letter to a Young Widow, 3.*

أحياء أموات، وأموات أحياء

أحياء أموات

✝ يوجد أولئك الذين وهم أحياء يُحسبون **أمواتًا عن الله**. إذ قد أوصى الله آدم قائلاً: "يوم تأكل من الشجرة موتًا تموت" (تك٢:١٧). وبعدما عصى الوصية وأكل، عاش ٩٣٠ عامًا، لكنه حسب **"ميتًا عن الله"** بسبب خطاياه.

إذ يلزم أن أؤكد لك أن الخاطئ يدعى ميتًا حتى وإن كان يعيش، فإنني أوضح لك هذا. فإنه هكذا جاء في حزقيال النبي: "حيّ أنا يقول السيد الرب (رب الأرباب) إني لا أسر بموت الشرير..." (حز٣٣:١١). علاوة على هذا قال ربنا لذاك الذي قال له: "ائذن لي أن أمضي وأدفن أبي..." (لو٩:٥٩) "دع الموتى يدفنون موتاهم. وأما أنت فاذهب وناد بملكوت الله" (لو٩:٦٠). فكيف تفهم هذه الكلمة أيها الحبيب؟ هل رأيت قط أن أمواتًا يدفنون موتاهم؟! أو كيف يقوم الميت ليدفن ميتًا آخر؟! لكن اقبل هذا الشرح مني، إن الخاطئ، وهو لا يزال عائشًا، يُحسب ميتًا عن الله.

الأب أفراهات

أموات أحياء

✝ أما البار فإنه وإن كان ميتًا، فهو حيّ في الله. فإن مثل هذا الموت نوم، كما يقول داود: "أنا اضطجعت ونمت ثم استيقظت" (مز٣:٤).

ويقول إشعياء أيضًا: "استيقظوا... يا سكان التراب النائمين في التراب" (إش٢٦:١٩).

وقال ربنا عن ابنة رئيس المجمع: "الصبية لم تمت لكنها نائمة" (مت٩:٢٤).

وقال لتلاميذه عن لعازر: "لعازر حبيبنا قد نام. لكني أذهب لأوقظه" (يو١١:١١).

وقال الرسول: "لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير" (١كو١٥:٥١).

وأيضًا قال: "من جهة الراقدين لكي لا تحزنوا" (١تس٤:١٣).

لكن يحق لنا أن نخاف من الموت الثاني (رؤ٢:١١، ٢٠:١٤، ٢١:١٨)،

المملوء بكاءً وصرير الأسنان وتنهدات، وبؤسًا، حيث يكون في الظلمة الخارجية.

لكن سيكون المؤمنون الأبرار مطوّبين في تلك القيامة، حيث يتوقعون الاستيقاظ ونوال المكافأة الحسنة المعدة لهم.

ويل للأشرار غير المؤمنين في تلك القيامة لما سيلاقون فيه. كان خير لهم، بحسب إيمانهم* الذي يملكونه ألا يقوموا (لأن إيمان الأشرار بالأبدية إيمان نظري، لكن حياتهم واشتياقاتهم كلها قد انصبّت في محبة العالم والشهوات...)

الأب أفراهات

لنهتم بموت النفس بانفصالها عن الجسد

✞ يُقال أيها الاخوة عن الروح أنها غير قابلة للموت (خالدة)، وذلك طبقًا لطبيعة خاصة بها، فهي نوع من الحياة له القدرة علي إعطاء حياة للجسد بوجودها فيه. فالروح يحيا الجسد. هذه الحياة لا يمكن أن تموت، لذلك فالروح غير قابلة للموت. لماذا أقول "**طبقًا لطبيعة خاصة بها**"؟ لتسمع السبب.

يوجد خلود حقيقي، الخلود الذي ليس فيه تغيير البتة، الذي قال عنه الرسول متحدثًا عن الله: "الذي وحده له عدم الموت. ساكنًا في نور لا يُدنى منه، الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه، الذي له الكرامة والقدرة الأبدية آمين" (١تي٦: ١٢). فإن كان الله وحده له عدم الموت لذلك ينبغي أن تكون الروح قابلة للموت.

انظروا إذن لماذا قلت أن **الروح غير قابلة للموت بطريقة خاصة بها**؟ لأنه حقيقة يمكن للروح أيضًا أن تموت.

لتفهموا هذا أيها الأحياء وبهذا لا تبقى بعد صعوبة. إنني أتجاسر قائلاً أنه يمكن أن تموت الروح كما يمكن أن تُقتل، ومع هذا فهي بلا شك خالدة (غير قابلة للموت). انظروا فإنني أجرؤ قائلاً أنها غير قابلة للموت وفي نفس الوقت يمكن أن تُقتل. بهذا أقول أنه يوجد نوع من الخلود، عدم تغيير البتة، يخص الله وحده الذي

---

* إيمان الأشرار هو شهواتهم وحبهم للملذات، فإنهم حتى وإن اعترفوا بألسنتهم بالقيامة وبالدينونة لكن أعمالهم تشهد أن كل رجائهم وإيمانهم منصب في محبة العالم...حتى وإن قاموا المسيحية وتحمسوا لها.

قيل عنه: "الذي وحده له عدم الموت"، لأنه إن كان لا يمكن أن تقتل الروح فكيف يقول الرب عندما يريدنا أن نخاف: "خافوا بالأحرى من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم" (مت ١٠: ٢٨)...

لقد برهنت على أن الروح لا يمكن أن تهلك. إذ لا يمكن أن يقاوم الإنجيل إلا بروح شريرة... الحياة لا يمكن أن تقاوم إلا بروح ميتة، والإنجيل هو الحياة، وعدم الورع وقلة الإيمان هما موت الروح. انظروا فإنه يمكن أن تموت، ومع ذلك فهي غير قابلة للموت (خالدة).

إذن كيف هي خالدة؟ لأنها هي دائمًا نوع من الحياة لا يمكن أن ينتهي أبدًا.

وكيف تموت؟ ليس بإبطال كونها حياة بل بفقدانها حياتها. لأن الروح هي حياة لشيء آخر كما أن لها حياة خاصة بها.

تأملوا نظام المخلوقات فالروح حياة الجسد والله حياة الروح. ما دامت الحياة أي الروح حالة في الجسد فإن الجسد لا يموت، هكذا ينبغي لحياة الروح أي الله أن يكون فيها حتى لا تموت.

كيف يموت الجسد؟ بانفصال الروح عنه، أقول بانفصال الروح عنه يموت الجسد ويبقى مجرد جثة، هذا الذي منذ قليل كان مُشتهي قد صار الآن موضوع احتقار. لا زالت فيه أعضاءه المختلفة، الأعين والآذان، ولكن هذه ليست إلا نوافذ للمنزل وأما ساكنه فقد رحل.

إن الذي يندب الميت يصرخ باطلاً على نوافذ المنزل مع أنه ليس بالداخل من يسمع. بكم يتفوه الباكي عن محبته الغبية. كم من الذكريات يحشد بها عقله، بأي حزن جُنوني يتحدث كما لو كان يتكلم مع شخص يُدرك ما يفعله بينما لم يعد بعد بالحقيقة هناك. أنه يُعدد صفاته الحميدة وعلامات فضله عليه: "أنت الذي أعطيتني هذا، وفعلت معي هذا وذاك. أنت الذي فعلت كذا وكذا يا عزيزي الذي تحبني"، لكن إن شئت فلتنتظر ولتفهم مُقاومًا جُنون حزنك، فإنه قد رحل الذي كان يحبك، فعبثًا يسمع قرعك للمنزل الذي لا يمكن أن تجده فيه قاطنًا.

✞ لنرجع إلى الموضوع الذي كنت أتحدث عنه منذ برهة. الجسد يموت، لماذا؟ لأنه قد رحلت حياته التي هي الروح. أيضًا إذا كان الجسد حيًا والإنسان شريرًا، غير

مؤمنٍ، عنيدًا في الإيمان، لا يقبل إرشادًا، فإنه بينما يكون الجسد في هذه الحالة حيًا إلا أن الروح التي يحيا بها الجسد تكون ميتة. **الروح شيء عظيم هكذا إذ في قدرتها أن تُعطي حياة للجسد حتى ولو كانت ميتة.**

أقول أنها شيء عظيم هكذا، إنها مخلوق رائع هكذا إذ في قدرتها أن تحي الجسد حتى وإن كانت ميتة في ذاتها. فروح الشرير، غير المؤمن، والمستهتر ميتة، ومع أنها ميتة، فإن بها يحيا الجسد، لذلك فهي كائنة في الجسد تدفع الأيدي للعمل والأقدام للسير وتوجه العين للنظر والآذان للسمع وتميز بين الأذواق وتتجنب الآلام وتسعى وراء المسرات. هذه جميعها علامات حياة الجسد، لكنها نتيجة وجود الروح. فإن حق لي أن أسأل الجسد عما إذا كان حيًا فسيُجيبني: "إنك تراني أسير، وتسمعني أتكلم، أو تعلم أن لي ما أهدف إليه وما أمقته، مع هذا أفلا تفهم أن الجسد حي؟ إذن افهم أن الجسد الحي بهذه الأعمال التي للروح.

إنني أسأل الروح أيضًا عمّا إذا كانت حيّة؟ إن لها أعمالها المناسبة لها التي تُعلن عن حياتها.

الأقدام تسير. إنني أفهم بذلك أن الجسد حيّ ولكن بوجود الروح فيه.

الآن أسأل هل الروح حية؟... **الأقدام تسير، لكن إلي أين تسير الأقدام؟** لقد قيل إلي الزنا. **كما قال الإنجيل:** "وأما المتنعمة فقد ماتت وهي حية" (اتي٥:٦)، إذن الروح ميتة. وإذا كان الفرق بين "التنعم والزنا كبير" فكيف إذًا يمكن للروح التي قيل عنها أنها ميتة بالتنعم أن تحيا في الزنا؟ إنها بالتأكيد ميتة. إنها ميتة ولو لم تكن في حالة الزنا.

إنني أسمع إنسانًا يقول أن الجسد حيّ لأن اللسان لا يستطيع أن يُحرك ذاته في الفم بل بحركاته المختلفة ينطق بأصوات واضحة. أليس هناك قاطن إذن وموسيقار لهذه الآلة يستعمل اللسان. إنني أفهم ذلك جيدًا. اللسان يتكلم هكذا فالجسد حي. ولكنني أسأل هل الروح حية أيضًا؟

هوذا الجسد يتكلم وبذلك فهو حي ولكن بماذا يتكلم؟ كما قلت عن الأقدام أنها تسير وبذلك فإن الجسد حيّ. وعندئذ سألت أين تسير هذه الأقدام؟ حتى أفهم عمّا إذا كانت الروح حيّة أيضًا، فأسأل أيضًا بماذا يتكلم حتى أعلم إن كانت الروح حيّة

أيضًا. إنه يتكلم بالكذب. إن كان كذلك فالروح ميتة. كيف نبرهن علي هذا؟ لنسأل الحق الذي يقول: "الفم الكاذب يقتل النفس" (حك ١:١١).

إنني أسأل لماذا ماتت الروح؟ أسأل كما سألت الآن لماذا مات الجسد؟ لأنه قد رحلت حياته، أي الروح لماذا ماتت الروح لأن الله حياتها قد تركها.

✞ بعد هذا الشرح المختصر نعلم وندرك حقًا أن الجسد ميت بدون الروح، وأن الروح ميتة بدون الله، كل إنسان بدون الله له روح ميت.

إنك تنوح علي الميت فلتنح بالأحرى علي الخاطئ، ولتندب بالأحرى الشرير غير المؤمن. إنه مكتوب: "النوح علي الميت سبعة أيام، والنوح علي الأحمق والمنافق جميع أيام حياته" لماذا؟ أليس فيك حنو مسيحي فتنوح علي جسد قد تركته الروح ولا تنوح علي الروح التي انفصلت عن الله؟!

✞ لذلك قال الرب "الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم" (مت ٢٨:١٠). كيف هذا؟ هل سيحترق جسد الشرير وروحه عندما يُلقى في جهنم. سيكون العقاب الأبدي هو موت الجسد، وستكون الغربة عن الله هي موت الروح.

أتريد أن تعلم ما هو موت الروح؟ لتفهم قول النبي: "المنافق... لا يرى جلال الرب" (إش ٢٦:١٠). إذن لتخف الروح من موتها الخاص بها ولا تخاف من موت جسدها، لأنها إن خافت موتها وعاشت مع إلهها بعدم أخطائها إليه ورفضها إياه فإنها ستكون مستحقة في النهاية لأخذ جسدها مرة أخرى، لا في عقاب أبدي كالأشرار، بل في الحياة الأبدية مثل الأبرار.

بالخوف من هذا الموت وبحب تلك الحياة، أهّل الشهداء أنفسهم للتتويج بواسطة الله علي رجاء مواعيد الله، محتقرين تهديدات المضطهدين، وبذلك تركوا لنا تبجيلاً لهذه المقدسات.

القديس أغسطينوس

الموت وآخر الأزمنة[٦]

للأب أفراهات

يروي لنا **الأب أفراهات** قصة الموت في أربع مراحل:

١. بدأ بآدم وظن الموت أن مملكته أبدية، لن يفلت إنسان من تحت سلطانه.

٢. إذ جاء موسى سمع الموت عن الوعود الإلهية بتحطيم الموت فاضطرب وخاف.

٣. إذ جاء السيد المسيح ومات أدرك أن موت المسيح ليس في صالحه بل حطم مملكته، فطرده من مملكته.

٤. بقي السيد المسيح عاملاً يسند البشرية ضد الموت ويحررهم من سلطانه.

المرحلة الأولى: الموت يملك من آدم إلى موسى

✠ لا يخاف المستقيمون والأبرار والصالحون والحكماء، ولا يرتعبون من الموت، وذلك بفضل الرجاء العظيم الموضوع أمامهم.

إنهم في كل وقت يذكرون الموت، ويفكرون في خروجهم، وفي اليوم الأخير الذي فيه يُدان أبناء آدم.

إنهم يعرفون أنه قد صدر الحكم "قد ملك الموت"، لأن آدم عصى الوصية، كما قال الرسول: "لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى، وذلك على الذين لم يخطئوا شبه تعدي آدم" (رو٥: ١٤). فاجتاز الموت إلى أبناء آدم (رو٥: ١٢) كما اجتاز آدم نفسه.

كيف تسلط الموت من آدم إلى موسى؟

واضح أنه عندما قدم الله الوصية لآدم حذّره قائلاً أنه يوم يأكل من شجرة معرفة الخير والشر موتًا يموت (تك٢: ١٧). هكذا عندما عصى الوصية وأكل من

---

[٦] لقد استحسنت ترجمة جزء من هذا المقال وترك الباقي لأنه يتحدث عن "القيامة وبركاتها"... هذا والعناوين الجانبية هنا من وضع المترجم.

الشجرة، حكم الموت عليه وعلى كل نسله. حتى الذين لم يخطئوا تسلّط عليهم الموت خلال عصيان آدم للوصية[7].

الأب أفراهات

المرحلة الثانية: اضطراب الموت منذ عصر موسى

✞ ولماذا قال: "قد ملك الموت من آدم إلى موسى"؟

من هو هذا الغبي في الفهم حتى يتصور أن الموت لا يحكم إلا على الذين من آدم إلى موسى؟!

لكن ليُفهم مثل هذا أن الموت قد "اجتاز إلى جميع الناس". هكذا يجتاز الموت من آدم حتى انتهاء العالم.

ومع ذلك فإن موسى بشر بأن مملكة الموت تبطل، ذلك لأنه عندما عصى آدم الوصية وبالتالي اجتاز حكم الموت على نسله، فإن الموت قد ترجى أن يعمى كل بني البشر ويملك عليهم إلى الأبد. ولكن إذ جاء موسى أعلن عن القيامة، فأدرك الموت أن مملكته تنتهي، لأن موسى قال: "ليحيا رأوبين ولا يمت، ولا يكن رجاله قليلين" (تث٣٣:٦).

وعندما دعى القدوس موسى من العليقة قال له: "أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب" (خر٣:٦).

وإذ سمع الموت ذلك القول ارتعب وخاف و اضطرب مرتبكًا، مدركًا أنه لا يكون ملكًا إلى الأبد على بني آدم.

ومن اللحظة التي سمع فيها الله يقول لموسى: "أنا إله... إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب" ضرب بيديه، إذ يعرف أن الله هو إله الأموات والأحياء، وأنه يعتق أبناء آدم من ظلمته ويقوموا بأجسادهم.

لاحظ أيضًا أن مخلصنا يسوع، عندما كرر نفس العبارة للصدوقيين إذ كانوا يناقشونه في أمر قيامة الأموات، قال لهم: "وليس هو إله أموات.. لأن الجميع عنده أحياء" (لو٢٠:٣٨)[8].

---

[7] *Demonstration 22 of Death and the Latter Times, 1.*

[8] *Demonstration 22 of Death and the Latter Times, 2.*

✞ ولكي يُعرّف الله الموت أن سلطانه ليس أبديًا على كل نسل آدم نقل أخنوخ إليه، لأنه قد أرضى الرب، فجعله لم يمت.

ومرة أخرى أخذ إيليا إلى السماء، ولم يتسلط عليه الموت.

وقد قالت حنة "الرب يميت ويُحيي. يُهبط إلى الهاوية ويُصعد" (١صم٢:٦).

علاوة على هذا، فإن موسى قال عن لسان الله: "أنا أميت وأُحيي" (تث٣١:٢٩).

وقال أيضًا إشعياء: "تحيا أمواتك تقوم الجثث، استيقظوا ترنموا يا سكان التراب..." (إش٢٦:١٩).

وقد سمع الموت بهذه الأمور جميعها، فأمسكت به الحيرة، وجلس نادبًا حزينًا[9].

الأب أفراهات

المرحلة الثالثة: بالموت أباد الرب الموت

✞ ولما جاء السيد المسيح – ذابح الموت – والتحف بجسد من بني آدم، وصلب بالجسد وذاق الموت، رأي الموت أن السيد المسيح قد خضع له، وإذ رأي يسوع تزعزع مكانه واضطرب وأغلق بابه حتى لا يدخل، لكن الرب حطم أبوابه ودخل وأفسد ممتلكاته.

إذ رأي الأموات نورًا أبرق في الظلمة، رفعوا رقابهم التي خضعت لعبودية الموت، ونظروا وتطلعوا إلى سمو مملكة المسيّا. عندئذ جلست قوات الظلمة التي للموت باكية، إذ نزع عنه سلطانه.

ذاق الموت الدواء المميت بالنسبة له، فارتخت يداه وعلم أن الأموات سيقومون ويهربون من نفوذه.

وإذ حزن الموت لفساد سلطانه، انتحب وصرخ بصوت عالٍ في مرارة قائلاً: أخرجوا من مملكتي ولا تعودوا تدخلوا فيها. من هو هذا الذي يعيش بعد في مملكتي!

وبينما كان الموت يصرخ مرتعبًا (إذ رأي أن ظلمته قد بدأت تتبدد وأن بعض

---

[9] *Demonstration 22 of Death and the Latter Times, 3.*

الأبرار الذين كانوا نائمين قد استيقظوا وصعدوا مع الرب) عندئذ علم أن الرب... سيُخرج المسجونين من سلطانه ويعاينوا النور... عندئذ إذ أكمل يسوع خدمته بين الأموات طرده الموت ولم يسمح له بالبقاء هناك. فقد أدرك الموت أنه لا يُسر بأن يبتلع الرب، لأنه ليس له سلطان على القدوس ولا أسلم القدوس للفساد[10].

الأب أفراهات

المرحلة الرابعة: خرج الرب من الموت، لكن لازال عمله باقيًا

✞ عندما طرد الموت (نفس المسيح) بحماس، خرج الرب من دائرة الموت تاركًا معه الوعد بالحياة، إنه كالسم الذي يقتل الموت، فيزيل سطوة الموت شيئًا فشيئًا. وذلك كما يأخذ إنسان سُمًا في الطعام الذي يتناوله كي يعيش، وإذ يدرك أنه أخذ سمًا في الطعام، للحال يتقيأ الطعام الممتزج بالسم، لكن قوة السم تبقى عاملة في أعضائه، حتى ينحل هيكل جسده قليلاً قليلاً إلى أن يفسد.

هكذا بموت يسوع أُفسد الموت، إذ خلاله تملك الحياة ويبطل الموت الذي قيل له: "أين شوكتك يا موت؟! أين غلبتك يا هاوية؟!"[11] (١كو١٥: ٥٥)[12].

الأب أفراهات

دعوة لتذكر الموت!

✞ يا أبناء آدم، يا من تسلط الموت عليكم، تذكروا الموت وفكروا في الحياة، ولا تعصوا الوصية كما فعل أبوكم آدم.

أيها الملوك المتوجون بالإكليل، تذكروا الموت، فإنه سيطيح بتيجانكم الموضوعة على رؤوسكم ويملك عليكم[13]، إلى أن تقوموا مرة أخرى للدينونة.

أيها المتعالون المتشامخون المتكبرون، تذكروا الموت، الذي سيبيد تشامخكم ويفسد أعضاءكم (الجسدية) ويهلك أجسادكم... فالمتكبرون بالموت ينزلون. والشرسون سيدفنون في ظلامه! سيزيل الموت المتكبرين، فتفسد (أجسادهم)

---

[10] *Demonstration 22 of Death and the Latter Times, 4.*

[11] لم يذكر الأب النص كاملاً.

[12] *Demonstration 22 of Death and the Latter Times, 5.*

[13] الحديث كما فيما يلي خاص بموت الجسد وليس النفس.

ويصيرون ترابًا إلى يوم الدينونة.

أيها الأغنياء، تذكّروا الموت، فإنه عندما يحين الوقت الذي فيه لا تأخذون معكم شيئًا، لا تقدرون أن تستخدموا غناكم أو ممتلكاتكم[14].

الأب أفراهات

✞ إنه لا توضع أمامكم المأكولات الشهية والولائم الغنية، فإنها تفسد أجسادكم الشرهة التي اعتادت أن تعيش في ترف.

أنهم سيكفون عن ترفههم ولا يعودون يذكرونه.

هناك الدفء يهلك أجسادهم، ويكتسون بالظلام بدلاً من اللباس الثمين.

أنهم لا يتذكرون نهاية العالم، وأن الموت سيزعجهم عندما ينزلون إليه، فيجلسون في ضيقةٍ وفي ظلال الموت حيث لا يعودون يذكرون هذا العالم حتى يقوموا في يوم الحكم.

يا أيها الجشعون والمغتصبون وسالبو اخوتكم تذكروا الموت، ولا تزيدوا خطاياكم، **لأنه ليس هناك توبة للخطاة. ومن سلب مال اخوته لا يجد حتى ماله،** بل يذهب إلى حيث لا ينتفع الإنسان بثروته، يذهب إلى الهاوية حيث تزول كرامته وتبقى خطاياه ضده إلى يوم الحكم[15].

الأب أفراهات

✞ يا من تثقون في هذا العالم (متّكلين عليه) احتقروه في أعينكم، لأنكم غرباء عنه، راحلون منه، وأنتم لستم تعرفون اليوم الذي فيه ترحلون. إنه سيأتي الموت بغتة، ويفصل الأبناء المحبوبين عن والديهم، ويأخذ لنفسه الآباء عن أبنائهم الأعزاء.

أنه يأخذ لنفسه الأبناء الوحيدين الأعزاء عن آبائهم مستهزئًا، مستهينًا بهم!

أنه يفصل الأصدقاء الأعزاء عن بعضهم البعض ليأخذهم لنفسه، تاركًا المحبين ينتحبون باكين!

يأخذ لنفسه المأسورين بجمالهم (الجسدي) ويشوه شكلهم ويفسدهم! يأخذ لنفسه الممجدين (بالجمال الأرضي) فيصيرون ترابًا إلى أن يأتي يوم الحكم!

---

[14] *Demonstration 22 of Death and the Latter Times, 6.*

[15] *Demonstration 22 of Death and the Latter Times, 6.*

ينزع لنفسه العروس عن عريسها، ويأسرها في حجرته الزيجية، في مكان ظلمته!

ينزع لنفسه الأزواج عن العذارى... ويبقى هؤلاء يبكين في نحيب مر من أجلهم!

يأخذ لنفسه الشابات الجميلات اللواتي يحسبن أنهن لا ينظرن الموت حتى عندما يكبرن في السن!

يأخذ لنفسه الأطفال المحبوبين أولاد أيام قلائل، قبل أن يشبع منهم والديهم!

يأخذ لنفسه الأغنياء، أبناء الترف، ويتركون ممتلكاتهم كأمواج البحر!

يأخذ لنفسه كبار الفنانين الذين هزوا العالم بأعمالهم العجيبة!

يأخذ لنفسه الخبثاء والحكماء (وتصير أجسادهم) غير قادرة على التمييز بين الخير والشر!

يأخذ لنفسه من وُهبوا قسطًا وافرًا من أمور هذا العالم، فتُباد ممتلكاتهم ولا تبقى إلى الأبد!

يأخذ لنفسه القادرين والعظماء، فتسقط قوتهم ويضعفون وينتهون. هؤلاء الذين كانوا يعتمدون على قوتهم ويثقون في أنها لن تخور، يجمع الضعفاء أجسادهم في يوم موتهم...

فالموت لا يُجل المكرمين، ولا يقبل رشوة من الأغنياء، ولا يزدري بالفقراء، ولا تحتقر نفسه المعدمين!...

إنه لا يهاب ذوي الجلال ولا يميز بين صالح وطالح!...

لا يأخذ في حسبانه الشيوخ أو يكرمهم عن الأطفال!...

إنه يقتاد العبيد وسادتهم، ولا يكرم السادة على العبيد، "فالصغير كالكبير هناك، والعبد حر من سيده" (أي٣:١٨، ١٩)... [16]

الأب أفراهات

۩ هل تنكر الموت أيها الكاتب الحكيم حتى ترفع قلبك... فإن الموت يأخذ لنفسه الكتبة الحكماء، حتى أنهم يفقدون ما قد تعلموه إلى أن يأتي الوقت الذي فيه يقوم

[16] *Demonstration 22 of Death and the Latter Times, 7.*

الأبرار[١٧].

الأب أفراهات

لنستعد له!

† يتذكر أبناء السلام الموت فينبذوا عنهم الغضب والعداوة، ويعيشون في العالم كمسافرين، يهيئون أنفسهم بالمؤونة اللازمة للرحلة.

يضعون أفكارهم فيما هو فوق، ويتأملون في العلويات، مزدرين بالأمور السفلية.

يرسلون كنوزهم إلى حيث لا توجد مخاطر ولا سوس ولا لصوص.

ينتظرون انتقالهم من هذا العالم إلى المدينة (السمائية)، مدينة الأبرار.

يتعبون أنفسهم في أرض رحيلهم دون أن يرتبكوا أو ينهمكوا (بالقلق) في بيت حبسهم.

ترتفع وجوههم يومًا فيومًا إلى حيث قد استودعوا آباءهم.

وإذ هم في العالم كمحبوسين وكرهائن (للرب) محفوظين، لذلك ليس لهم راحة إلى نهاية هذا العالم، ورجاؤهم ليس هاهنا أبديًا...

الأب أفراهات

[17] *Demonstration 22 of Death and the Latter Times, 11.*

آلام الفراق المقدسة

آلام الفراق أمر طبيعي، يعيشها الإنسان الذي وهبه اللّه الأحاسيس والمشاعر ليمارسها... فقد تألمت مريم ومرثا لانتقال أخيهما (يو ١١:١٩). وإذ رآهما السيد المسيح متألمتين بكي (يو ١١:٣٥)؛ مشاركًا إيّاهما آلام فراقهما!

جاءت العظة التي ألقاها **القديس أمبروسيوس** في جنازة أخيه ساتريوس *Satyrus* تكشف عن مشاعر القديس المرهفة نحو أخيه المحبوب لديه جدًا.

[أقدم هذه العظة لكي أرافقه، فأكون معه بالروح في رحلته إلى مدة أطول قليلاً، ولكي احتضنه بعقلي هذا الذي تراه عيناي. لأثبت نظري بعمق عليه، أودعه ببطء وأظهر له ما في القلب. لأخاطبه بكل شكل من الأشكال التي تُظهر معزتي له. توقف ذهني عن التفكير، لست أظن إني قادر أن أفكر بأن ذاك الذي لازلت قادر على رؤيته أمامي قد رحل. لا أستطيع أن أتيقن أنه مات، فإني لازلت محتاجًا إلى خدماته التي أنسب إليها حياتي ونسماتي... إني محتاج أن أهدئ من حزني، لا أن أنتزع مشاعر عواطفي، فتشبع اشتياقاتي لا أن اسكنها لتنام[1].]

عاد بعد أسبوع من موت أخيه يعظ فبدأ كلماته بصورة مختلفة تمامًا عنها في يوم الجنازة، إذ يقول: **[لقد حجّمت اشتياقاتي، لئلا وأنا أطلب أدوية قوية لجرحي الملتهب أزيده التهابًا عوض تهدئة آلامه[2].]**

سجل لنا أيضًا **القديس أغسطينوس** مشاعره الفياضة يوم انتقال والدته القديسة مونيكا، فقال في اعترافاته:

[أغمضت عينيها فتملكني حزن شديد، كاد يتحول إلى دموع لو لم تمتصها عيناي، بأمرٍ صادرٍ من إرادتي، من ينبوعها حتى كادت تجففها. أواه!...

رأينا أنه من المناسب أن نحتفل بهذا المأتم بلا صراخ ولا نواح ولا بكاء، لا كمن يبكون على موتاهم كأنهم ذاهبون إلى الفناء التام، لأن موت أمي لا يدعو إلى الحسرة، ولأنه ليس موتًا كاملاً...

---

[1] *De excess frat.1.*

[2] *De excess frat. 2:1.*

لم أذرف دمعة حتى ولا خلال الصلوات، لكنني طوال نهاري كنت أشعر في داخلي بثقل الحزن عليّ[3].]

كتب **القديس جيروم** إلى باولا *Paula* سائلاً إياها ألا تفرط في الحزن بسبب وفاة بلاسيلا *Blaesilla*، يقول: [بالتأكيد الآن إذ نؤمن بالمسيح ونحمله في داخلنا، فبسبب زيت مسحته التي قبلناها (١يو٢:٢٧) يليق بنا ألا نفارق هيكله، أي عملنا المسيحي، ولا نرتبك كالأمم غير المؤمنين، بل نبقى على الدوام في الداخل كخدام مطيعين لإرادة الرب[4].]

لعل من أجمل ما قدمته القديسة ماكرينا لأخيها **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** قبيل نياحتها هو الحياة المتهللة السماوية كسمة الإنسان الروحي. في حديثهما معًا تذكرا أخاهما **القديس باسيليوس الكبير**، فتأثر القديس غريغوريوس جدًا وانسابت دموعه، أما هي فلم تشعر بانهيار أمام حزنه، بل حولت الحديث عن أخيهما إلى الحديث عن الحكمة السماوية... رفعت قلب أخيها من الذكريات إلى الالتهاب بالحياة العلوية. تمالكت نفسها وهي هزيلة الجسد تقول له إنه لا يليق أن نحزن على الراقدين كمن لا رجاء لهم. كانت تخفي تنهداتها وكل ما تعانيه من ضيق في التنفس لتبرز الجانب المضيء المفرح. وكانت تتحدث معه وتجيب على أسئلته. وكما قال: [**لقد بدت نفسي وكأنها قد ارتفعت تمامًا من جوها البشرى بما قالته وتحت تأثير حديثها، ووقفت في المقادس السماوية.**]

كتب **القديس غريغوريوس** مقالاً يحوي حديثه معها، جاء في مقدمته:

[باسيليوس العظيم بين القديسين قد رحل إلى الله من هذا العالم. لقد حزنت عليه كل الكنائس! كانت أخته "المعلمة" لا تزال حية، وقد سافرتُ إليها، لكي نتبادل التعزية من أجل فقدان أخيها.

كانت نفسي بحق مضروبة بالحزن، وذلك بتلك الصفعة المؤلمة، فبحثت عن شخص يمكن أن يحمل ذات مشاعري على قدم المساواة؛ حتى يمزج دموعه بدموعي.

---

[3] *Confession, Book 9:12:29,33.*

[4] *Ep 39:4.*

إذ كنا معًا في الحضرة ألهبت رؤيتي للمعلمة كل آلامي، إذ كانت راقدة منبطحة حتى الموت... لقد حاولت أن تصلح من أمري بالحديث معي، وأن تصحح بلجام (شكيمة) براهينها ما أصاب نفسي من تشويش. لقد اقتبست كلمات الرسول إنه لا يليق بنا أن نحزن على الراقدين، فإن هذه هي مشاعر من لا رجاء لهم. وبقلب يعتصر ألمًا سألتها: 'كيف يمكن للبشر أن ينفذوا ذلك؟'[1]]

والكنيسة كأم حنون تشارك المتألمين مشاعرهم، فيشترك الكهنة والشمامسة والشعب مع أسرة الراقد في الآلام، معبرين عن ذلك بنغمات الحزن التي يترنمون بها في صلوات الجنّاز... لكنها نغمات تبعث مع الحزن عزاءً ورجاءً. وكما يقول الرسول: **ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الاخوة من جهة الراقدين، لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم. لأنه إن كنّا نؤمن أن يسوع مات وقام، فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضًا معه' (اتس١٤:٤،١٥).**

في عام ٣٧٤م؛ يبدو أن أمفيلكوس *Amphilochios* لام ابن عمه **القديس غريغوريوس أسقف نزينزا** لأنه لم يتفاعل معه في مشاعره عندما مات ابنه، فكتب إليه القديس وهو أصغر منه في السن:

[إنك تحزن! أنت تبكي! بالنسبة لي، فيُفترض أني مبتهج! كما ترى إنني كمن في عيد، وأنا أفتخر بهذا.

أتحزن من أجل ابنك الذي أُخذ منك وأُعطي كرامات يستحقها؟

إنك متأسف لأنه لم يعد بعد يهتم بك في شيخوختك، ويرد لك كما يليق بما فعلته معه من أمور صالحة.

ماذا بالنسبة لي؟ ألم أحزن إذ تركني والدي في رحلته الأخيرة، فلا يعود يرجع ولا يُظهر ذاته لنا؟

مع هذا فأنا لا أنتقدك، ولا أطلب منك ذات التعزية التي لنا، فإننا نعرف أن الشعور بالألم بسبب موت الأحباء لا يترك مجالاً للاهتمام بمتاعب الآخرين...

إنك تتهمني – كما فهمت – أننا لا نبالي بابنك الذي هو بالحق 'أخي'، أو أننا

---

[1] *Dialogus de anima et resurrectione qui inscribtur Macrinia*

قد خناه، وهذا أمر مؤلم! أتظن أننا لا نشعر بكل ما لحق بك وبأصدقائه وأقاربه أنه **خسارة؟ ماذا بالنسبة لي؟ إنني خسرت أكثر من الكل؛ هو وحده كان سندًا لي، كان مرشدي، ورفيقي في ممارسة التقوى...**

بسبب حزني القديم كنت عاجزًا عن الحضور إليك مرة أخرى، وذلك بسبب حزني والتزامي نحو والدي، الذي يستحق الإكرام، فإنه ليس شيء يفوق هذا...

لتلقِ هذا الحزن جانبًا الذي يبدو لي أنه ليس بلائق[6].]

يظهر اهتمام المسيحيين بالمشاعر المقدسة نحو فراق الأحباء من الرسالة التي كتبها **القديس غريغوريوس أسقف نزينزا إلى القديس غريغوريوس أسقف نيصص** ليعزيه في ثيوسيبيا التي تبدو أنها كانت زوجته (قبل سيامته وعاشا بعد كأخين)، وإن كان البعض يرى إنها مجرد شماسة، عُرفت بفكرها الراجح وكانت محبوبة جدًا[7].

[إني معجب من ثباتك والفلسفة التي أظهرتها – كما سمعت – عند عبور أختك الطوباوية القديسة.

كان سلوكك هو سلوك رجل صالح وقائد تقي، له معرفة بالإلهيات والأمور البشرية أكثر من غيره. إنك إنسان يتطلع إلى ما هو محزن للغاية بالنسبة لغيره إن وجدوا في مثل هذه الظروف، على أنها أمور محتملة.

لقد تركتها تذهب إلى القبر وتوضع في أماكن الراحة كسنبلة قمح تُجمع في الوقت اللازم (أي٥:٢٦)، بعدما شاركت في سحر الحياة وهربت من اللحظات المؤلمة، فإن مدة حياتها مُقاسة تمامًا، إذ رحلت قبل أن تحزن على موتك، فنالت كرامات في جنازتها تليق بالقديسين.

كما تعرف، أود أنا أن أترك هذه الحياة، وإن كان ليس في ذات العمر مثلك، إذ أريد لك عمرًا أطول، إنما على الأقل أن أكون بارًا مثلك!

ما هي مشاعرنا نحو ناموس الله الذي وُضع منذ القدم والذي تحقق الآن في "ثيوسيبياي" *my Theosebia*؛ ادعوها: "لي my" لأنها عاشت في الله، في قرابة

---

[6] *Letter 63 to Amphilochios, the Elder, his consin.*

[7] للمؤلف: القديس غريغوريوس أسقف نيصص ١٩٩٣، ص ١٢.

روحية تفوق قرابة الدم.

ثيؤسيبيا هي مجد الكنيسة، لؤلؤة المسيح، فخر جيلنا، كرامة النساء.

ثيؤسيبيا أعظم مجداً وشهرة بين اخوتها الرائعين.

ثيؤسيبيا هي قديسة وزوجة كاهن، تكرم بالمساواة وتستحق أسراراً فائقة.

ثيؤسيبيا سيقتنيها الجيل القادم ويضعها في سجل الخالدين، وفي قلوب كل من يعرفها ومن سيأتي بعد.

لا تعجب إن كنت أكرر اسمها؛ فإني أجد لذة في تذكر هذه الطوباوية[8].]

رسالة إلى قلب جريح

في ظروف قاسية انتقل أحد الأحباء من هذا العالم بعد أن نجحت عملية نقل النخاع له، وعانى الذي وهبه جزءً من نخاعه متاعب جسدية كثيرة... وساد الحزن على الأسرة والأحباء، فتساءلت أخته في مرارة: لماذا سمح الله بهذه التجربة القاسية؟ ولماذا سمح له أولاً بنجاح العملية ثم يسمح بانتقاله من هذا العالم؟ لماذا الآلام التي نجتازها؟...

بعثتُ إليها برسالة، رأيت أن ننشرها لنفع كل قلب جريح:

الأخت المباركة في الرب...

سلام ربنا يسوع المسيح الذي تألم عنّا ومات ثم قام يكون معك ويرافقك، وتعزية الروح القدس ترفع قلبك ليدرك أبوة الله الحانية، ويتفهم خطته الإلهية من جهتنا.

في هذه الظروف القاسية التي تجتازين إياها أتذكر أخاً مباركاً عاش في وسطنا في ملبورن أستراليا، أُصيب في حادث أليم... وبعد قليل اكتشف أنه مصاب بمرض السرطان، وأن الأورام قد تغلغلت في كل جسمه، وتوقع الأطباء رحيله في خلال أسبوعين أو ثلاثة أسابيع... واجه هذا الأخ توقع الموت ببهجة قلب لم أرَ مثلها، بل كانت أحاديثه معي ومع من يزوره من شعب الكنيسة حول اشتياقه الصادق إلى ملاقاة السيد المسيح، مع أنه كان حديث المعرفة به. كان يترقب انفتاح آخر باب

[8] *Letter 197.*

يفصله عن رؤية محبوبه السيد المسيح السماوي، ألا وهو الموت.

هذه قصة عشتها منذ سنوات في أستراليا، وأعيشها بصورة أو بأخرى مع كثيرين يرون في الموت انطلاقة نحو الوطن الباقي أبديًا.

كثيرًا ما نسأل: "ولماذا يسمح الله لنا بالألم؟" وتأتي الإجابة: مَنْ يستحق أن يرافق السيد المسيح في آلامه؟ مَنْ يتأهل لهذا الشرف العظيم؟ الألم هو مدرسة إلهية ندخلها ولو بغير إرادتنا لنتعلم حياة التسليم والشكر للّه، فنعبر فوقه، وننعم خلال صراعنا معه بالمجد الداخلي الذي يُعلن فينا.

عاش معلمنا بولس الرسول متألمًا، بل كما يقول: "في ميتات كثيرة". ومع هذا لم يحطم الألم نفسيته، بل حوله إلى رجل تسبيح. كان مع سيلا ممنوئين بالجراحات، مقيدين في السجن، يسبحان الله (أع ١٦: ٢٥). مرة أخرى وهو في السجن كتب إلى شعبه لا ليروي لهم عن متاعبه وظلم الأشرار وقسوتهم وتبرئته لنفسه، ولا ليصف لهم أحداث السجن وما يدور حولها، إنما كتب يحثهم على الفرح الدائم في الرب (فيلبي٤: ٤).

ما كنا ننعم بتسبحة الثلاثة فتية التي تملأ النفس فرحًا ورجاءً ما لم يُلقوا في أتون النار! وما كان يمكن لدانيال النبي أن ينعم برفقة الملاك ليلة كاملة ونهارًا مالم يُلْق في جب الأسود!

أرسل القديس يوحنا الذهبي الفم إلى شابة ترملت وكان زوجها مرشحًا لتولي ولاية في الإمبراطورية الرومانية، يقول لها في صراحة إنه قد تردد بعض الوقت في الكتابة إليها لأن الحدث جسيم والضيقة مرة وقاسية. لكنه يعود ليقول لها عن زوجها المنتقل إنه قد عبر إلى ملك الملوك ليصير ملكًا حقيقيًا... فكيف لا نفرح معه وبه؟

ماذا أقول؟ لو أننا سألنا الراقد أن يعود إلى عالمنا

لأننا متألمون بسبب فراقه لنا أو لاحتياجنا إلى رعايته سواء المادية أو الروحية أو النفسية أو الاجتماعية، فبماذا يجيب؟

هل يقبل أن يعود إلى "وادي الدموع" بعد ما تمتع بالفردوس؟!

هل يرجع إلى الجسد الترابي بعدما خلعه مترقبًا أن يعود فيلبسه جسدًا

روحانيًا؟!

هل يترك شركة التسبيح مع الملائكة وكل السمائيين من أجل آلام فراقه لنا مع أنه لم ينفصل عنا بالروح بل يصلي بالأكثر لأجلنا؟!

هل يترك ثوبه الأبيض ورفقته للحمل الذي يمسح دموعه (رؤ٧:٩-١٧) ليصير في رفقة الأرضيين هنا؟!

بالحقيقة إذ نرفع قلوبنا إلى الفردوس لا نضطرب من الموت، بل بالحري نشتهيه، حاسبين إياه رحيلاً ورقادًا مؤقتًا حتى يأتي يوم الرب العظيم وننعم بكمال المجد الأبدي.

رؤيتنا للمجد الفردوسي وفرحنا بالعبور من هذا العالم لا يعني عدم مشاركتنا مشاعر المتألمين، وإنما كما يقول الرسول: "فرحاً مع الفرحين، وحزنا مع الحزانى"

لقد عاش آباؤنا القديسون كما في السماء يشتهون الخروج من العالم، وفي نفس الوقت يشاركون المتألمين آلامهم، ويئنون مع أناتهم... لكنهم بنعمة الله خلال هذه الشركة الروحية يرفعون قلوب المتألمين إلى فوق فيمتلئوا تعزية.

اقتبس هنا القليل من عبارات **القديس باسيليوس الكبير** التي كتبها إلى أناس فجعوا بموت أحباء أعزاء لديهم: [كان لهذا الأمر عظيم الأثر في نفوسنا، فلكوني الأب الروحي الذي يحب أبناءه ويتألم لآلامهم، لا تقدرون مدى الحزن الذي انتاب قلوبنا ساعة سماعنا ذاك الخبر المشؤوم، فلم نستطع كبت دموعنا التي انهمرت غزيرة حزنًا وأسى... ولكن هكذا شأن الله، وهذا هو مصير الإنسان... لنسلم ذاتك بالكلية إلى إرادة الله، ولنشكر تدابير عنايته الإلهية. وها مثالنا في الضيق أيوب الصديق الذي رضى بما حل به، مرددًا قول الحكمة الكاملة:الرب أعطى، والرب أخذ، فليكن اسم الرب مباركًا.]

ليتنا عوض حزننا على الراقدين نترجى قيامتهم بفرح، بل ونطلب قيامة نفوسنا من موت الخطية، إذ يعدنا الله: "هأنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبي... وأجعل روحي فيكم فتحيون... فتعلمون إني أنا الرب تكلمت وأفعل يقول الرب" (حز ٣٧:١٢-١٤).

لقد قام مسيحنا من بين الأموات، لا ليحطم موت الجسد بل موت النفس،

محولاً موت الجسد، أي انفصاله عن النفس إلى عبور. فبموته وقيامته "أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات" (أف ٢:٦). فصرنا نختبر القيامة كحياة يومية مُعاشة، وننعم بالسماويات كملكوت قائم فينا ونحن بعد في الجسد نعيش في هذا العالم. إنه بهذا يعلن مجده فينا كعربون للمجد الأبدي. تتحول أيامنا بكل ما فيها من مرارة ومتاعب إلى أمجاد وتهليل قلب وسرور. نحيا بالحق كأولاد الله، ليس للموت سلطان علينا، بل نترنم مع الرسول بولس بلغة النصرة: "أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟ أما شوكة الموت فهي الخطية، وقوة الخطية هي الناموس. ولكن شكراً لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح" (١كو١٥: ٥٥-٥٧).

أخيرًا أقدم لك كلمة الله، مصدر كل تعزية، تسندك في وسط ضيقتك، راجياً قراءة الفصول التالية: (١ تس ٤: ١٣-١٨، حز ٣٧: ١-١٤، رو ٧: ٩-١٧، يو ١٤: ١-١٤، يو ١١: ١-٤٤).

الرب وحده قادر أن يهبك كل عزاء.

الحاجة إلى تعزية داخلية!

في بدء عام ٣٧٩م تنيح **القديس باسيليوس الكبير** أسقف قيصرية فكتب **القديس غريغوريوس النزينزي** إلى **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** الذي كان يتطلع إلى أخيه **القديس باسيليوس الكبير** الذي كان يكبره جدًا في السن كمعلم له. وهكذا كانت نظرته أيضًا إلى أخته ماكرينا. [**يبدو أن لك أصدقاء كثيرين، وتتقبل كلمات تعزية كثيرة، لكن لا شيء يعزيك أفضل من نفسك، ومن تذكره**[٩].]

أمران يعزيان الإنسان: رجوعه إلى أعماقه ليجد الرب نفسه يعزيه في داخله، فيقول مع أيوب لمن هم حوله: "كلكم معزون متعبون". أما الأمر الثاني هو تذكر حياة الراقد كيف عاش في الإيمان فتطمئن نفوسنا عليه.

[٩] *Letter*, 76.

الصليب وصلاة الثالث

المصلوب يصرف روح الحزن

الكنيسة كأم تشارك أولادها مشاركة فعلية في كل شيء.

يولد الطفل **فتتلقفه الكنيسة بالصلاة**، إذ تصلي شاكرة الرب من أجله في اليوم السابع بصلاة تدعى "**صلاة الحميم**".

ثم تعود فتقبله على إيمان والديه وأشبينه أو أحدهم في **المعمودية** حيث يُصلب مع الرب ويقوم بعد دفنه ثلاث مرات على شبه الرب المدفون ثلاثة أيام في القبر.

وتدهن كل عضو من أعضاء جسده **بالميرون** ليكون كل أعضائه مكرسة للرب.

وعندما يزل ويسقط بإرادة أو غير إرادة تقدم له سرّ **التوبة والاعتراف** غفراناً لخطاياه.

وتقدم له **جسد الرب المكسور ودمه المبذول** لتطعمه وتقوته ضد قوات الشر والخطية ...

وتقدم له في الزواج سرًا عظيمًا يصير فيه الإنسان وشريك حياته جسدًا واحدًا في إكليل مقدس صورة للإكليل الحقيقي الذي يتم بين النفس وعريسها ربنا يسوع.

وعند انتقاله تصلي لأجله، لأنه لازال منها وسيبقى واحدًا من أعضائها وإن غاب عن الذين على الأرض.

وفي اليوم الثالث من انتقاله تصلي الكنيسة صلاة تسمى "**صلاة الثالث**" أو "صلاة رفع الحصيرة". هذه الصلاة هي مشاركة الكنيسة لأهل المنتقل في مشاعر محبتهم للمنتقل، ورسالة تعزية لهم لكي يكفوا بعد عن البكاء.

صلاة الثالث

يسميها البعض "صلاة رفع الروح" مدعين بأن روح المنتقل تبقى ثلاثة أيام تحوم حول مكان إقامته ثم ترتفع بعد ذلك إلى الفردوس أو تهبط إلى الجحيم على انتظار يوم الدينونة. ومن بين البشر كثيرون حتى من غير المسيحيين من يؤمنون ببقاء روح المنتقل ثلاثة أيام على الأرض تحوم حول مكان إقامته. لكن الكنيسة لا

تصلي لأجل ارتفاع الروح وصعودها، بل لأجل **رفع روح الحزن الذي تسلط على أهله وأقاربه ومحبيه.**

تعترف الكنيسة بالعواطف البشرية ولا تُنكرها، فأهل المنتقل مهما بلغ إيمانهم غالبًا ما يسودهم الحزن المصحوب بالرجاء، وذلك من أجل آلام الفراق، وليس يأسًا أو تذمرًا على الله. لذلك لم يمنع الرسول عدم الحزن منعًا باتًا بل قال: "لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم... لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضًا معه" (اتس٤:١٣، ١٤). لهذا تتركهم الكنيسة يبكون ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث تصلي معهم لكي يرفع عنهم روح الحزن.

اختارت الكنيسة اليوم الثالث ليس جزافًا بل لأسباب منها:

١- **في اليوم الثالث قام الرب من بين الأموات** محطمًا قوى الموت، لذلك فالكنيسة تعزينا بالرب المصلوب الذي مات وقام. به يقوم المنتقل في يوم الدينونة حاملاً الجسد ولكن بغير فساد حاملاً عدم الموت، وتكون له حياة أبدية خالدة...

٢- جاء في سفر الخروج عن الشعب بعد خروجه من بحر سوف إلى البرية: "فساروا **ثلاثة أيام في** البرية ولم يجدوا ماء. فجاءوا إلى مارة ولم يقدروا أن يشربوا ماء من مارة لأنه مر، لذلك دعي اسمه مارة. فتذمر الشعب على موسى قائلين: ماذا نشرب. فصرخ إلى الرب، فأراه الرب شجرة فطرحها في الماء فصار الماء عذبًا" (خر١٥:٢٢-٢٥). لقد كان الماء مرًا حتى لم يستطع أحد قط أن يشرب من الماء، ولكن إذ طرحت فيه الشجرة صار عذبًا! **هكذا** تجربة الموت مُرة وقاسية، وكأسه صعب ومؤلم، لكن متى ألقت الكنيسة بالصليب، الشجرة التي صلب عليها الرب يسوع يصير **كأس** الألم حلوًا وعذبًا. لهذا اعتادت الكنيسة في صلاة الثالث أن تصلي على كأس به ماء وتُلقي فيه نباتًا أخضر وترشمه بالصليب، ليشرب من الماء أهل المنتقل ويُرشون به.

النبات الأخضر يشير إلى **صليب الرب** الذي يحول تجاربنا وآلامنا إلى لذة، إذ فيها مشاركة للرب المتألم، وقبول لحمل الصليب برضى وشكر من غير تذمر.

والنبات الأخضر يشير إلى **المصلوب ذاته**، لأنه في طريق الصليب قال الرب

المتألم لبنات أورشليم الباكيات: "**لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس**" (لو٢٣: ٣١). فإن كان العود الرطب قد حمل الصليب، عندئذ لا نضطرب نحن العود اليابس إن حملنا صليبنا.

هذا ما تعلمه إيانا الكنيسة في طقس صلاة الثالث بل وفي قراءاته.

ففي المزامير تؤكد أن هذه المياه هي مياه الألم المرة نقبلها من أجل المسيح المتألم، إذ تقول: "أحيني يا رب فإن المياه قد وصلت إلى نفسي، وغرقت في حمأة الموت، ولم يعد لي استطاعة بعد. وذهبت إلى عمق البحر والعاصف غرقني. مللت وبحت حنجرتي مما أصرخ... لأني من أجلك قد قبلت إليّ العار وغطى الخزي وجهي" (مز١٢٨).

وفي البولس (رو٥: ٦-١٦) تذكر الكنيسة أهل المنتقل بموت المسيح من أجلنا وحبه لنا ونحن بعد كنا فُجّارًا وخطاة.

وفي الطلبة تطلب من أجل المنتقل وزوجته وأولاده أن يُنيّح الأول، وينزع من أقاربه وجع القلب، وينزع الدموع عن عيونهم...

تصلي الكنيسة من أجل المنتقل لأنه عضو فيها، تحبه وتشفع فيه أمام المصلوب.

وتعزي الكنيسة أهله لأنها أُم تحتضن الكل بين جناحيها!